CRISPR

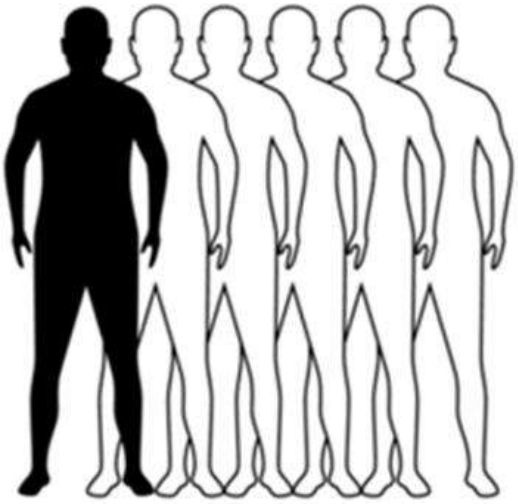

رواية من أدب التشويق و الخيال

د . غفار محمد

.. CRISPR

إهداء :

إلى أولئك الذين يُصغون للكلمات كما لو كانت نبوءات،
ويؤمنون أن في كل جملة مأوى، وفي كل قصة خلاص ..
إلى عشّاق الأدب الذين يمنحون اللغة حياةً أخرى..
وإلى مشجعي الكُتّاب الذين يرون في الحبر نورًا، لا حرفة
أكتب هذه الصفحات، لا لتُفهم... بل لتُحسّ
أنتم النبض الذي يجعل للكلمة طنينًا أبعد من الورق،
وللحكاية عمرًا أطول من راويها ..

.. CRISPR

أنت هنا في عالم الخيال، وكل تشابه مع الواقع في الأسماء وكثير من الأماكن هو محض صدفة ..

.. CRISPR

المحتويات :

- النبوءات المخفيّة ..
  - مشروع **X** مارس ..
- **CRISPR** ..
  - تقاطع مشاريع ..
- بذور سوداء في تربة حمراء ..
  - الطبيب الموعود ..
- الكمال المشوّه ..
  - وابي سابي ..
- إله الحرب يدقّ طبول الحرب ..

الفصل الأول

النبوءات المخفيّة

معلومات تمهيدية :

((**ميشيل دو نوسترادام**، المعروف باسم **نوستراداموس**، كان طبيبًا وفلكيًا وعرافًا فرنسيًا عاش في القرن **16** .

وُلد عام **1503** في جنوب فرنسا، في زمن كانت فيه الأوبئة والخرافة والعلم تعيش جنبًا إلى جنب.

اشتهر أساسًا بكتابه **النبوءات** الذي نُشر عام **1555** .

احتوى الكتاب على رباعيات شعرية غامضة كتبت بلغة رمزية وملتبسة.

لم يذكر الأحداث بشكل مباشر، بل تركها مفتوحة للتأويل.

اعتبره البعض نبيًا رأى المستقبل، ورآه آخرون شاعرًا بارعًا في الغموض.

نُسبت إليه تنبؤات عن حروب كبرى وكوارث وسقوط ملوك.

بعد كل حدث عالمي كبير، يعود اسمه إلى الواجهة من جديد.
لم يدّعِ نوستراداموس صراحة أنه يرى المستقبل بوضوح.
بل كان يقول إنه يستند إلى الفلك والحدس والتاريخ المتكرر.
غموض كتاباته هو سر بقائه حيًا عبر القرون.
فكل جيل يقرؤه بعين مخاوفه الخاصة.
لم تُثبت نبوءاته علميًا، لكنها لم تختفِ من الذاكرة الجماعية.
يمثل نوستراداموس التقاء الخوف الإنساني بالرغبة في معرفة الغد.))

فرنسا / سالون دو بروانس

2033 م ..

في الجنوب الفرنسي، حيث لا يكون الضوء ضوءاً خالصاً بل ذاكرةً سائلة، تمتد الأرض بلونٍ بين العسل المحترق والرماد القديم. هناك، حيث الريح لا تعصف بل تمرّ كيدٍ تعرف الوجوه، وحيث أشجار السرو لا ترتفع طلبًا للسماء بل هربًا من الماضي على الأرض، كانت البقعة الأثرية ترقد كجسدٍ نُسي اسمه.

لم يكن المكان مرتفعًا ولا مهيبًا، بل متواضعًا حدّ الريبة. تلال منخفضة، حجارة متناثرة، وبقايا جدران لا توحي بالعظمة، بل بالعزلة. هنا لا يزورك التاريخ باعتباره نصرًا، بل اعترافًا متأخرًا. الأرض نفسها بدت وكأنها اختارت هذا الموضع لتدفن شيئًا لا تريد له أن يُستعاد بسهولة.

الهواء كان كثيفًا على غير عادة الصيف. رائحة ترابٍ قديم، ممزوجة بشيء يشبه الورق المتعفّن، كأن الأفكار نفسها

تتحلل تحت السطح. الطيور لم تكن صاخبة، بل حذرة، تحلّق على ارتفاعٍ منخفض، كأنها تعرف أن ما تحتها ليس مجرد حجارة.

في هذه البقعة عاش نوسترادامو‌س. لا في قصر ملك، ولا في برج نبيّ، بل في بيتٍ يشبه فكرةً خافتة. رجل رأى أكثر مما ينبغي لإنسان، فاختار أن يعيش أقل مما يتوقعه الآخرون.

وصلت البعثة الأثرية عند الفجر. ثلاث سيارات جيب داكنة اللون، كأنها لا تريد أن تُرى. لم يكن الوصول احتفاليًا، بل حذرًا، كما لو أن الجميع يشعر بأنهم ضيوف غير مرغوب فيهم.

كانوا اثني عشر شخصًا. لا شيء يوحّدهم سوى نظرة مشتركة في العين : تلك النظرة التي يحملها من يعتقد أن شيئًا ما ينتظره، لكنه لا يعرف إن كان يريد العثور عليه. ملابسهم عملية، ألوانها محايدة، كأنهم اتفقوا ضمنيًا ألا يضيفوا لونًا جديدًا إلى هذا المكان.

قائدهم، **جوليان مورو**، لم يكن الأطول ولا الأعلى صوتًا، لكنه كان الأكثر حضورًا. في ملامحه شيء غير مكتمل، كأن

وجهه نفسه مشروع لم يُنهَ. جبينه يحمل خطوطًا لا يصنعها العمر وحده، بل التفكير الطويل في أسئلة بلا أجوبة. عيناه بلونٍ بين الرمادي والأخضر، لون لا يستقر، تمامًا مثله.

جوليان لم يكن يؤمن بـ«اللعنات»، لكنه كان يحترم الصمت. كان يعرف أن بعض الأماكن لا تُخترق بالأدوات، بل بالتواضع. وقف طويلًا قبل أن يسمح ببدء الحفر، لمس الأرض بيده العارية، كمن يعتذر قبل أن يجرح.

بدأ العمل بطيئًا، متوتراً. كل طبقة تُزال كانت تُفحص كأنها صفحة من كتاب هش. لم تكن الحفريات صاخبة ؛ لم يكن هناك ذلك الحماس المسرحي الذي يظهر في الأفلام. كان هناك شيء أقرب إلى طقسٍ جنائزي، كأنهم لا ينقّبون عن آثار، بل عن شخصٍ دُفن حيًا في الزمن.

مع كل يوم، كان الشعور يزداد ثقلًا. ليس لأنهم وجدوا شيئًا، بل لأنهم لم يجدوا. الفراغ نفسه أصبح علامة. جوليان كان يشعر بأن المكان يخفي نفسه عمدًا، لا لأن السرّ عميق، بل لأنه حساس.

في اليوم السابع، عند الظهيرة، حين كانت الشمس في ذروتها لكن ظلّ المكان ما زال باردًا، انزلقت أداة صغيرة بين شقوق الأرض، واختفى طرفها. لم يكن الصوت مدويًا، بل مكتومًا، كأن الأرض ابتلعت أنينًا.

تجمّد الجميع. الصمت الذي تلا كان أثقل من أي اكتشاف. اقترب جوليان، انحنى، وأزاح التراب بيديه. شيئًا فشيئًا، ظهرت فتحة غير منتظمة، لا تشبه انهيارًا طبيعيًا، بل مدخلًا نُسي عمدًا.

قال أحدهم بصوتٍ خافت :

◉ هذا ليس صدفة.

لم يرد جوليان. كان ينظر إلى الفتحة كما يُنظر إلى عينٍ مفتوحة في جسدٍ ميت. كان يعرف، في تلك اللحظة تحديدًا، أن ما سيجدونه لن يكون مجرد تاريخ ... بل سؤالًا سيُطرح على المستقبل كله.

لم يكن السرداب درجًا بالمعنى المألوف، بل انحدارًا بطيئًا، كأن الأرض لا تريد أن تُنزَل دفعة واحدة. درجاته غير متساوية، محفورة يدويًا، لكل درجة شخصيتها الخاصة، ارتفاعها المختلف، حافتها المتآكلة، كأن من نزل هنا قبل قرون كان يتعمد أن يشعر بكل خطوة.

الضوء الكهربائي بدا فظًا في هذا المكان، فخفّفوه عمدًا. المصابيح اليدوية ألقت ظلالًا طويلة، متكسّرة، جعلت الجدران تبدو كأجساد واقفة تراقبهم. الحجر كان أملس على غير المتوقع، ليس لأنه جديد، بل لأنه لُمس كثيرًا. لم يكن سردابًا مهجورًا، بل مستخدمًا... ثم تُرك فجأة.

كلما نزلوا أكثر، تغيّر الهواء. صار أثقل، أبطأ، كأنه يحتفظ بأنفاس سابقة. الرطوبة لم تكن مجرد ماء، بل أثر حياة، عرق، خوف، وربما سهرٍ طويل. أحد أعضاء البعثة قال همسًا إن المكان يشبه قبو عقلٍ قديم.

جوليان كان في المقدمة. لم يتكلم، لكنه كان يصغي. ليس للأصوات، بل لذلك الإحساس الغامض بأن السرداب لا يقود إلى غرفة، بل إلى قرارٍ لم يُتخذ.

في نهاية السرداب، انفتحت الغرفة بلا باب. لا عتبة، لا فاصل، كأن الدخول إليها لم يكن فعلًا يستحق الإعلان. سقفها منخفض، مقوّس قليلًا، كأنها صُممت لرجلٍ لا يريد أن يقف طويلًا، أو ربما لرجلٍ اعتاد الانحناء تحت ثقل ما يرى.

الجدران عارية. لا رموز، لا نقوش، لا صلبان ولا دوائر فلكية. هذا الغياب كان بحد ذاته رسالة. من بنى هذه الغرفة لم يكن يسعى للخلود، بل للاختفاء. الأرضية حجرية، يتوسطها مكتب قديم ، أو ما تبقى منه، داكن اللون، متشقق، لكنه ثابت ، كأنه رفض التحلل احترامًا لوظيفته الأخيرة.

المكتب لم يكن فخمًا، بل صارمًا. خشب سميك، درج واحد فقط، مقبضه معدني بسيط، لا زخرفة فيه. فوق سطحه آثار خدوش دقيقة، خطوط متقاطعة، كأن صاحبها كان يرسم وهو يفكر، أو يضغط القلم حين تعجز الكلمات.

جوليان اقترب ببطء. مدّ يده، وتوقف لحظة قبل لمس المقبض. لم يكن ترددًا علميًا، بل إنسانيًا. كان يشعر أنه على وشك انتهاك عزلة شخصٍ اختار هذا المكان ليقول أشياء لا تُقال.

ثم غلبه الفضول الفطري و فتح الدرج.

لم يكن داخل الدرج فوضى، بل ترتيب صارم. مخطوطات عدة، متشابهة الحجم، أوراقها سميكة، مصفرّة، كأن الزمن مرّ عليها بيدٍ حانية لا قاسية. كانت مربوطة بخيوط كتان، كل مجموعة منفصلة عن الأخرى، كأن كل نبوءة كانت عالمًا مغلقًا.

أمسك جوليان واحدة منها. الورق كان دافئًا على نحوٍ غير متوقع، كأن الكلمات ما زالت تعمل. الحبر بني داكن، خطوطه غير مستقيمة، لكنها واثقة. لا زخرفة لغوية زائدة، بل اقتصاد في العبارات، وكثافة في المعنى.

قرأ السطر الأول، ثم الثاني، ثم توقف. هذا النمط الكتابي يعرفه جيداً .. رباعيات نوستراداموس الشهيرة !! إذن فقد بلغ غايته من الحفر أخيراً .. إنّ المعلومات التي حصل عليها من مخطوطات قديمة عن مخبأ نوستراداموس السرّي لم تكن كاذبة ..

لم يكن النص غامضًا بالأسلوب المعتاد لنوستراداموس، بل واضحًا على نحوٍ مقلق. هذه ليست نبوءات تُكتب ليُساء فهمها، بل تحذيرات كُتبت ليُساء تجاهلها.

أدرك جوليان فورًا أن هذه النصوص لم تُستبعد من كتاب نوستراداموس الشهير (النبوءات) لأنها ضعيفة، بل لأنها قوية ، قوية إلى حد أن صاحبها خاف من أثرها.

نوستراداموس، الذي اعتاد أن يتخفّى خلف الرمز، هنا كان مباشرًا أكثر مما يحتمل عصره.

وقف الجميع صامتين. لم يحتفل أحد. لم يبتسم أحد. كان الشعور السائد أنهم لم يكتشفوا كنزًا، بل أطلقوا سراح شيءٍ كان محبوسًا عمدًا.

وفي تلك اللحظة، فهم جوليان أن ما سيخرج من هذه الغرفة لن يبقى هنا. سيصعد. سيتكلم. وسيطالب العالم بأن ينظر إلى نفسه دون أقنعة.

****

بعد أسبوع ...

أثارت المخطوطات المكتشفة ضجة هائلة في الأوساط العلمية و الأثرية ، لاسيما بعد التأكد من تاريخها بالكربون المشع **14** ، الذي أظهر أنها كتبت في فترة حياة نوستراداموس بالضبط .. بعدها انكب على تحليلها و تفسيرها خيرة الباحثين و الخبراء في المجال .. كانت أغلب النبوءات شاملة و عامة يصعب ربطها بشيء محدد ، لكن تألقت من بينها نبوءتان واضحتان كالهواء عقب هطول المطر على نحوٍ مثير للقلق و الحيرة ..

ثم سمح للمخطوطات أن تخرج من السرية إلى النور.. المطبعة لم تستوعب رعبها، الصحف لم تصدقها، ومواقع التواصل لم تجد الكلمات المناسبة إلا لإعادة نشر صور الأوراق الصفراء العتيقة ، و نقوش الحبر البني الداكن ..

الثلاثون شخصًا الذين قرأوا المخطوطات أولًا، باتوا الآن مجرد رموز في تغريداتٍ بلا توقف. العالم كله أصبح غرفة قراءة واحدة، وأعين الملايين تتشبّث بكلمات لم تُكتب للعلن.

النبوءة الأولى لم تنتظر التأويل :

في زمن بعيد ..

عندما يذوب جبل الجليد ..

سيغمر الأرض الطوفان الجديد ..

لتنفذ السماء أقسى الوعيد ..

لم يكن الحديث عن جبل واحد، بل عن صمت القطب الجنوبي بشكل صريح ، عن ذوبان بحيراتٍ جليدية هائلة، عن مياهٍ تتصاعد على الكرة الأرضية، تغمر المدن، تبتلع الغابات، وتعيد الأرض إلى صمتها الأول.

لكن النبوءة الثانية كانت مختلفة. أكثر غموضًا، و أكثر فظاعة :

على الكوكب الصدئ البعيد القريب ..

سيأتي الموعود .. المسافر الطبيب ..

و يتكاثر بشر من نسخة واحدة على نحوٍ غريب ..

عندها ستعلّق الإنسانية على الصليب ..

لم يكن الحديث عن الأرض ، بل عن مستقبل البشرية على كوكب آخر، و عن فكرة التكرار، عن خلودٍ بلا اختلاف. لكن مع تهديدٍ لاحقٍ مخيف ..

فجأة، لم يعد البحث مجرد اكتشاف أثرٍ تاريخي، بل بدأ البحث عن معنى البقاء ، و قتامة المصير ..

العالم في تفسيراته انقسم كما لو كان مزهرية سحقت إلى شظايا. العلماء ركّزوا على الكوكب الصدئ. المريخ كان الخيار الأقرب. لونه الأحمر، ترابه الغني بأكسيد الحديد، أسلوب تفسير قديم .. نعم .. لكنه التفسير الأكثر منطقية .. نوستراداموس يتحدث هنا على الأرجح عن البشر الذين سيستعمرون الكوكب الأحمر ، أو هكذا أخبره وحيه الخاص.

فهل ستنجح البعثات في السفر إلى المريخ كما وعد **إيلون ماسك** منذ سنوات ؟!

أما الشق الثاني فيتحدث عن طبيب منتظر .. فمن هو ؟ و

ماذا سيفعل للبشرية ؟! أسئلة بلا إجابات ممكنة للحين .

لكن الشق الثالث : « يتكاثر بشر من نسخة واحدة »، كان الأكثر رعباً . كيف يمكن أن يكونوا نسخًا واحدة ؟ هل المقصود الاستنساخ الجيني ؟ أم مشروعًا علميًا لم يكتمل بعد ، و هل للطبيب الموعود المذكور صلة بالحكاية ؟

ثم يأتي الشق الرابع الأخير .. كلمات مفعمة بالخطر و الوعيد .. تتعرض معها الحياة البشرية كما نعهدها لخطرٍ جسيم غير مفسّر ..

في الصحف، على الشاشات، و في مقالات الإنترنت، تحوّل الموضوع من فضول تاريخي إلى مسألة وجودية.

أي كوكب سيحتضننا عندما تنتهي صلاحية كوكبنا و يلفظنا ، و أي مصير قاتم ينتظرنا إن صدقت النبوءات !؟

في جنوب فرنسا، عاد جوليان مورو إلى مكان السرداب. الشمس لم تتغير، الأشجار لم تتحرك، لكن الأرض نفسها كانت تنتظر، كأنها تعرف أن ما حدث أعاد الأسطورة إلى الحياة.

جلس عند الفتحة، لمس الحجر يصلي لروح نوستراداموس أن تجد السلام ، و يرجوه المغفرة لفضح أسراره المخبأة ، شعر بالبرودة التي لم تكن مجرد حرارة، بل تذكير بأن الإنسان يصارع باستمرار لمعرفة مصيره ، ثم يمضي بقية حياته في جحيم معرفته ..

لقد أدرك أخيرًا، بعد سنوات من البحث عن مخطوطات نوستراداموس المفقودة ، أن نوستراداموس لم يكن يتنبأ بالمستقبل كما يراه البشر. بل كان يحذر، ببساطة، من أن الإنسان قد يجد الطريقة للنجاة، لكنه سيفقد المعنى.

الفصل الثاني

مشروع X مارس

معلومات تمهيدية :

((كوكب المريخ هو الكوكب الرابع من حيث البعد عن الشمس في النظام الشمسي.

يُعرف بلونه الأحمر بسبب انتشار أكاسيد الحديد على سطحه.

يقع بين كوكب الأرض والمشتري، ويُعد أقرب الكواكب شبهًا بالأرض.

يبلغ قطره نحو نصف قطر الأرض تقريبًا.

يمتلك المريخ يومًا قريبًا من طول اليوم الأرضي، حوالي أربع وعشرين ساعة ونصف.

أما سنته فتمتد لما يقارب سنتين أرضيتين.

سطحه متنوع جغرافيًا بين سهول شاسعة، وبراكين عملاقة، وأودية عميقة.

يضم أعلى بركان معروف في النظام الشمسي، **جبل أوليمبوس.**

كما يحتوي على **وادي مارينر**، وهو أخدود هائل يفوق أي وادٍ على الأرض.

للمريخ قطبان مغطّيان بالجليد، يتكونان من ماء متجمد وثاني أكسيد الكربون.

غلافه الجوي رقيق جدًا مقارنة بغلاف الأرض. يتكوّن أساسًا من ثاني أكسيد الكربون مع آثار ضئيلة من الأكسجين.

درجات حرارته منخفضة، وقد تهبط إلى ما دون **100** درجة مئوية تحت الصفر.

لا يحتوي حاليًا على ماء سائل على سطحه.

لكن توجد دلائل قوية على وجود ماء قديم في الماضي.

تنتشر على سطحه عواصف غبارية قد تغطي الكوكب بأكمله.

يمتلك قمرين صغيرين هما **فوبوس** و **ديموس**.

جاذبيته أضعف من جاذبية الأرض بكثير.

يُعد هدفًا رئيسيًا لاستكشاف الفضاء والبحث عن الحياة.

وما يزال المريخ يثير فضول الإنسان كسؤال مفتوح عن الماضي والحياة خارج الأرض.))

المريخ / مدينة X مارس 1

بعد خمسين سنة ..2084 م ..

لم تكن المركبة الفضائية تشبه الصواريخ التي عرفها البشر في بدايات أحلامهم. لا أنف مدبب ولا جسد عدواني يشق السماء بعنف. كانت أقرب إلى كائنٍ هندسيّ هادئ، بيضاويّ الشكل، متعدد الطبقات، كأنها فكرةٌ صُقلت أكثر مما صُنعت. هيكلها الخارجي بلونٍ بين الفضيّ والرماديّ الداكن، يعكس ضوء الأرض لحظة الإقلاع، ثم يتخلى عنه تدريجيًا، كأنها تتدرّب على النسيان.

اسمها محفور بخطٍ بسيط قرب بوابة الصعود:

X-Orbiter VII.

لا زخرفة، لا شعارات وطنية، لا أعلام. هذه ليست رحلة دولة، بل رحلة بشرٍ اشتروا حقّ النظر من زاويةٍ أخرى. ثمن التذكرة مئة ألف دولار، وثمن التجربة إعادة تعريف الذات.

في الداخل، لم يكن التصميم وظيفيًا فحسب، بل نفسيًا. الجدران من مادة بيضاء دافئة، لا تعكس الصوت بقسوة، والإضاءة ناعمة تتغير تدريجيًا مع مراحل الرحلة. المقاعد ليست صفوفًا، بل دوائر، كأن الجميع متساوون أمام المجهول. مئة سائح، من أعمار ولهجات وملامح شديدة الاختلاف، جمعهم شيء واحد لا يُفسَّر بسهولة : رغبة عميقة في مغادرة الأرض دون أن يموتوا.

عند لحظة الإقلاع، لم يكن هناك عدٌّ تنازلي صاخب. فقط صوت منخفض، أقرب إلى تنفّسٍ عميق، ثم اهتزاز خفيف، ثم شعور غامض بأن الجاذبية قررت أن تأخذ استراحة قصيرة.

لم تكن الرحلة وعدًا بالمغامرة فقط، بل بزيارة مكانٍ أصبح، خلال عشر سنوات، رمزًا لجرأة الإنسان وحدوده في آنٍ واحد. **مدينة X مارس 1** لم تُبنَ لتكون جميلة، بل لتكون ممكنة. أول مدينة مصغّرة في **مشروع X مارس الكبير**، مشروع لم يُعلن عنه بوصفه هروبًا من الأرض، بل امتدادًا لها. مجموعة من القباب المتصلة، مدفونة جزئيًا تحت سطح المريخ، كأنها تحتمي من الكوكب كما تحتمي الأفكار الجديدة من النقد.

المدينة لا تضم شوارع، بل ممرات. لا ناطحات، بل طبقات. لا سماء زرقاء، بل سقوفًا شفافة تسمح بدخول الضوء المريخي الخافت. عاش فيها علماء ومهندسون وأطباء وأطفال وُلدوا وهم يرون الشمس بلونٍ مختلف. عشر سنوات فقط، لكنها بدت كأنها قرنٌ كامل من التكيّف مع العزلة.

الغاية من الرحلة السياحية لم تكن الترفيه وحده، بل التطبيع. أن يصبح المريخ مكانًا يُزار، لا فكرةً تُخاف. أن يرى السائح بعينيه أن الحياة يمكن أن تنمو حتى فوق الصدأ.

حين استقرت المركبة في مسارها بين الأرض والمريخ، فُتحت النوافذ البانورامية. لم تكن نوافذ عادية، بل أقواس زجاجية شفافة تمتد من الأرضية حتى السقف، كأنها تُلغِي فكرة الجدار. وقف السياح واحدًا تلو الآخر بلا اتفاق ولا

كلمات. الفضاء لا يُشاهَد، بل يُستوعَب بصعوبة. سوادٌ ليس فارغًا، بل ممتلئٌ بنقاط ضوء قديمة، نجوم لا تُضيء الحاضر، بل الماضي، وكل نقطة منها رسالة متأخرة.

الأرض بدت خلفهم كرةً زرقاء، هشة، جميلة على نحوٍ مؤلم. لا حدود، لا أسلاك، لا حروب مرئية. فقط لونٌ واحد يطفو كفكرةٍ نجحت صدفة. بعض السياح بكوا بصمت، وآخرون ابتسموا دون سبب. امرأة وضعت يدها على الزجاج كأنها تلمس الفراغ، ورجل أغمض عينيه خوفًا من أن يتغير داخله شيء لا يستطيع إعادته.

في تلك اللحظة، لم يكن الفضاء منظرًا، بل مرآة. كل واحد رأى نفسه أصغر، وأوضح.

مع مضي الوقت ، بدأ المريخ يكبر ببطء، لا كاقتحام، بل كاقتراب متردد. لونه الأحمر لم يكن صارخًا، بل عميقًا، متدرجًا، كأن الكوكب يحمل ذاكرة حديدٍ قديم. تفاصيله بدأت تظهر: أخاديد، ظلال، مرتفعات تشبه ندوبًا لم تُشفَ. خفّفت

المركبة سرعتها، وتغيّر الصوت، لم يعد صامتًا تمامًا، بل صار أقرب إلى خفقانٍ منتظم. الجاذبية عادت خفيفة وغريبة، غير مألوفة، كأن الجسد يتعلّم وزنًا جديدًا.

عند الهبوط، لم يكن هناك ارتطام، بل احتضان بارد. الغبار المريخي ارتفع قليلًا ثم استقر، كأنه يعترف بالضيف الجديد. أُعلنت الجملة القصيرة عبر النظام الداخلي : « مرحبًا بكم على المريخ ». لم يصفّق أحد. هذه لم تكن لحظة تصفيق، بل لحظة صمت.

ارتدى السياح بدلاتهم الفضائية المتطورة. لم تكن ضخمة ولا مخيفة، بل أنيقة، بيضاء مع خطوط دقيقة، مصممة لتكون امتدادًا للجسد لا درعًا ضده. الخوذ شفافة بالكامل، تسمح للوجه بأن يُرى، لأن هذه التجربة لا تُعاش خلف أقنعة.

حين وطأت أقدامهم سطح المريخ، كان الشعور غريبًا. الأرض ليست أرضًا، بل تربة خفيفة كأنها لم تقرر بعد أن

تكون صلبة. الخطوات بطيئة، القفز أسهل، الجسد أخف، لكن القلب أثقل. السماء ليست زرقاء، بل بلونٍ بين البرتقالي والرمادي. الشمس أصغر وأبعد، كأنها تراقب من دون تدخل. الصمت مطلق، لا ريح تُسمَع، لا طائر، لا حياة مرئية، لكن الإحساس بالحياة كان طاغيًا.

ثم التفتوا.

رأوا كوكب الأرض.

نقطة زرقاء صغيرة، بعيدة، معلّقة في الفراغ. لا يمكن تمييز القارات، ولا المدن، ولا البيوت. فقط نقطة، جميلة، هشّة. كل شيء عرفوه هناك، هو الآن بحجم فكرة.

حين دخل السياح المدينة، لم يشعروا أنهم يعبرون بوابة، بل كأنهم ينتقلون من تعريفٍ إلى آخر للحياة.

الممر الأول كان منخفض السقف، دائريّ الجدران، مبطّنًا بمادة شفافة شبه عضوية، لا هي معدن خالص ولا زجاج،

بل شيء بينهما، كأن المدينة اختارت أن تكون حيّة دون أن تدّعي ذلك. الهواء تغيّر فورًا؛ لم يعد جافًا كما على السطح، بل ناعمًا، ذا رائحة خفيفة تشبه المطر الأول على حجرٍ ساخن.

توقّفوا تلقائيًا. ليس لأن أحدًا أمرهم، بل لأن أجسادهم أدركت قبل عقولهم أن البدلات لم تعد ضرورة. الضوء الداخلي كان أبيض مائلًا إلى الأزرق، لا يرهق العين، ولا يذكّر بالشمس، بل بشيء اصطناعي صادق لا يحاول التقليد. أُضيئت إشارات صغيرة على خوذهم، علامة صامتة تعلن أن الأكسجين متوفر، وأن الضغط مستقر، وأن الخطر ـ ولو مؤقتًا ـ قد أُجّل.

خلعوا البدلات ببطء، كما لو كانوا يخلعون طبقة من الخوف لا من القماش. الأقمشة التقنية انسحبت عن الأجساد،

الأصوات عادت : احتكاك خفيف، أنفاس تُسمَع، همسات غير مقصودة. كان الأكسجين مختلفًا. ليس لأن تركيبه مختلف، بل لأن وعيهم به كان جديدًا. هواء مصنوع، نعم، لكنه هواء لا يعتذر عن كونه كذلك.

في قلب المدينة، كانت وحدات توليد الأكسجين تعمل بصمتٍ منتظم. لم تكن أشجارًا، بل كانت أقرب إلى مصانع خضراء. خزانات مملوءة بطحالب دقيقة، كائنات صغيرة لا تُرى بالعين المجرّدة، لكنها تقوم بعملٍ يشبه المعجزة بتواضع. تمتص ثاني أكسيد الكربون، وتُطلق الأكسجين، لا بدافع الحياة، بل لأن هذا ما خُلقت لتفعله. إلى جانبها، أنظمة تحليل كهربائي تفصل ذرات الماء المستخرج من الجليد المريخي القديم، تحرّر الأكسجين وتخزّنه، ثم تضخه في شبكة معقّدة من الأنابيب التي تتنفس بها المدينة.

كان هناك شيء فلسفي في هذا كله : الحياة هنا لا تأتي من الطبيعة، بل من قرار. الأكسجين ليس هبة، بل نتيجة معادلة. ومع ذلك، حين دخل الرئتين، لم يسأل أحد عن مصدره.

في الساحة المركزية، حيث تتقاطع الممرات وتعلو القبة الشفافة قليلًا، كان ينتظرهم رجل واحد. طويل القامة، نحيل على نحوٍ يوحي بأن الجاذبية الأخف أعادت تشكيل جسده بمرور السنوات. شعره رمادي فاتح، لا لأنه عجوز، بل لأنه لم يعد يهتم بإخفاء الزمن. عيناه بلونٍ يصعب تحديده، كأنهما انعكاس للسماء المريخية نفسها.

ابتسم ابتسامة لا تحمل ترحيبًا سياحيًا تقليديًا، بل نوعًا من الاعتراف الضمني بحجم المغامرة. ثم قال :

◉ مرحبًا بكم في المكان الذي لا يجرؤ أياً كان على زيارته

كان هذا **هويت مارفان**. المرشد السياحي، والمؤرخ غير الرسمي، وأحد أوائل من قرروا أن يعيشوا هنا لا بوصفهم روّادًا، بل سكانًا. صوته هادئ، غير متحمس، كأن القصة التي سيحكيها أثقل من أن تُقال بحماسة.

بدأ يسير، و بدأوا يتبعونه دون أن يطلب. قال بحماسة :

◉ إن كل مدينة تبدأ بفكرة، لكن هذه المدينة بدأت برواية. رواية قديمة، كتبها الأديب **فيرنر فون براون** في أواسط القرن العشرين، لم تكن خريطة علمية بقدر ما كانت حلمًا منضبطًا. رواية « **مشروع المريخ** » لم تكن آنذاك سوى صفحات، كلمات، تصوّر إنسانًا يدعى إيلون يجرؤ على تخيّل نفسه خارج الأرض دون أن يفقد إنسانيته.

مرّت العقود وتحوّلت الفكرة إلى هاجس. ثم جاء رجل حمل اسمه نبوءة الرواية ، لم يتعامل مع الخيال بوصفه ترفًا، بل خطة مؤجلة. **إيلون ماسك** لم يزرع مدينة، بل زرع بذرة سؤالٍ :

ماذا لو لم تكن الأرض كافية ؟

لم يبنِ القباب الأولى ليهرب البشر، بل ليختبروا قدرتهم على البدء من جديد دون ذاكرة زائدة.

أشار هويت إلى جدارٍ شفاف خلفه، حيث تظهر وحدات قديمة، أصغر، أقل إتقانًا. ثم قال بحنين واضح :

◉ إن تلك كانت البذرة. أول مساكن، أول مختبر، أول ليلة

نام فيها إنسان وهو يعلم أن العودة ليست مضمونة. ثم بدأت المدينة تكبر لا بالقفز، بل بالتراكم. كل قبة جديدة كانت نتيجة فشل سابق، وكل ممر كان تصحيحًا لمسار.

الأطفال الذين وُلدوا هنا من باب التجربة و الدراسة ، لم يعرفوا الأرض إلا صورًا. لم يحملوا حنينًا، بل فضولًا. لغتهم تشكّلت ببطء، مفرداتها أقل، لكنها أدق. لم يسألوا لماذا السماء حمراء، بل لماذا كانت زرقاء هناك.

توقف عند نقطة مرتفعة قليلًا، حيث يمكن رؤية معظم المدينة دفعة واحدة. و علّق :

◉ إن الاستيطان لم يكن انتصارًا، بل مفاوضة مستمرة مع كوكب لا يهتم بوجودهم. نحن هنا لأننا قبلنا أن نكون ضيوفًا، لا مالكين ..

نظر السياح حولهم. لم يروا مدينة بطموحٍ استعماري، بل مجتمعًا هشًا، واعيًا بهشاشته. فهموا، دون أن يُقال لهم، أن المريخ لا يُفرض عليه، بل يُصغى إليه.

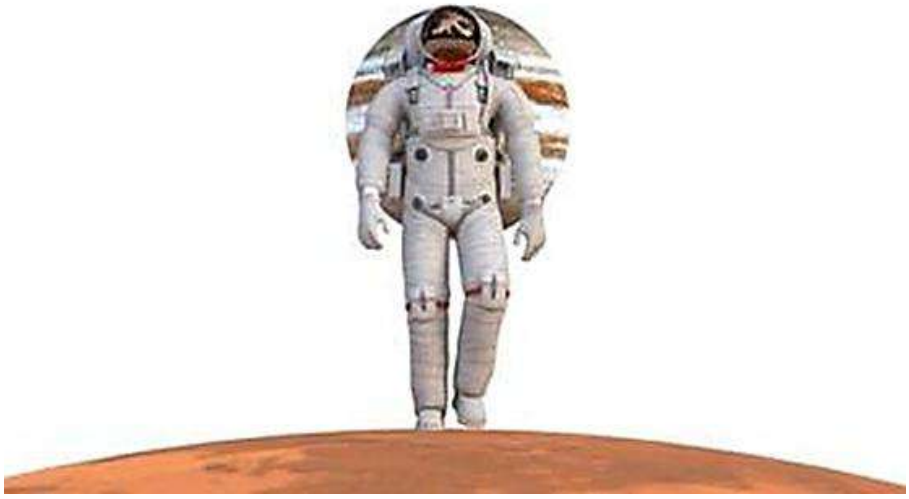

تقدّم هويت بضع خطوات، ثم استدار ببطء، كمن لا يريد أن

يسبق الكلمات بالأقدام. أشار بيده لا إلى نقطة محددة، بل إلى الفراغ المحيط، و أردف :

◉ إن المدينة لا تُفهم من مخططاتها، بل من طبقاتها، لأن كل طبقة هنا تمثل قرارًا أخلاقيًا بقدر ما تمثل حلًا هندسيًا.

إن القسم الأقرب إلينا هو **قلب المدينة**، حيث الحياة اليومية تُدار بلا بطولات. هناك وحدات السكن، صغيرة لكنها ذكية، جدرانها تتحرك، وأسقفها تتغير وفق إيقاع النوم والعمل. لا نوافذ على الخارج، لأن الخارج لا يُطمئن، لكن شاشات تعرض سماء الأرض في ساعات محددة، لا لتغذية الحنين، بل لتذكير السكان بأن هذا المكان لم يُبنَ ليحلّ محلها، بل ليكون بديلًا حين تفشل.

أبعد قليلًا، في مستوى أعمق، تقع **منطقة الزراعة**. ليست حقولًا كما عرفها البشر، بل أعمدة رأسية، طبقات من الضوء والماء والطحالب والنباتات المعدلة وراثيًا لتفهم القسوة دون أن تستسلم لها. الطعام هنا لا يُقدّس، لكنه يُحترم. كل ثمرة تُحسب، كل ورقة تُراقَب، لأن الحياة على المريخ لا تسمح بالإسراف، لا في الموارد ولا في الأوهام.

ثم هناك **المنطقة العلمية**، حيث لا يُجرى البحث بدافع الفضول وحده، بل بدافع البقاء. مختبرات واسعة تدرس التربة، الإشعاع، العظام البشرية تحت جاذبية أقل، والنفس الإنسانية حين تُعزل طويلًا عن سماء تعرفها. نحن تعلّمنا سريعًا أن الجسد يتكيّف أسرع من الروح، وأن أصعب ما في الاستيطان ليس بناء القباب، بل الحفاظ على معنى الأيام.

مرّوا قرب ممرّ طويل يقود إلى ما يشبه **الساحة المفتوحة**، تحت قبة أعلى من غيرها. تابع هويت :

◉ هنا يجتمع الناس. لا لاحتفالات كبيرة، بل لأشياء بسيطة : موسيقى، حديث، صمت مشترك. هذا القسم لم يكن في المخططات الأولى، لكنه أُضيف بعد سنوات، حين أدركوا أن المدينة التي لا تملك مكانًا للفراغ، تختنق حتى لو كان هواؤها مثاليًا.

ثم تغيّر صوته قليلًا، لا حزنًا ولا حماسة، بل جدية أثقل. و مضى في شرحه الإرشادي :

◉ إن هذه المدينة ليست نهاية المشروع، بل بدايته المتواضعة. المشاريع القادمة لا تُبنى كلها هنا، بل حولها، وتحتها، وأبعد منها. قباب أكبر، مدن متصلة، أنفاق طويلة تحمي البشر من الإشعاع، ومراكز توليد مستقلة للطاقة والماء والهواء، بحيث لا يكون أي تجمع بشري معتمدًا بالكامل على الآخر. التوسّع هنا ليس ترفًا، بل شرط نجاة.

إن هناك خططًا لمدن متخصصة : واحدة للعلم فقط، واحدة للزراعة الموسّعة، وأخرى للتجريب الاجتماعي، حيث يُختبر العيش طويل الأمد بأجيال متعاقبة. ليس بهدف صنع إنسان جديد، أضاف سريعًا، بل لفهم إن كان الإنسان الحالي قادرًا على الاستمرار دون أن يتشقق من الداخل.

وحين ذُكرت الأرض، لم ينخفض صوته، بل ازداد وضوحًا.

◉ إن المريخ لم يُخطط له ليكون بديلًا رومانسيًا، بل خطة طوارئ أخلاقية. إذا أصبحت الحياة على الأرض غير

ممكنة، بسبب الماء أو النار أو الهواء أو الإنسان نفسه، فلا بد من مكان لا يحمل ذاكرة تلك الأخطاء كاملة. مكان يبدأ بنصف فرصة، لا أكثر.

توقف قليلًا، نظر إلى وجوه السياح، ورأى في عيونهم ذلك السؤال الذي لم يُطرح. فأجاب عليه بلا دعوة :

◉ إن الانتقال الجماعي ليس قريبًا، وربما لن يحدث أبدًا، لكن الاستعداد له يغيّر طريقة عيش البشر الآن. حين تعرف أن لك خيارًا آخر، تتصرف بمسؤولية أكبر... أو بتهوّر أكبر. والتاريخ لم يقرر بعد أيهما سنختار.

صمت لبرهة ثم أضاف :

◉ إنّ الحلم المريخي ليس الهروب من الأرض، بل إعادة تعريف معنى الوطن. **هل هو مكان وُلدت فيه ؟ أم مكان تستطيع أن تعيش فيه دون أن تفقد نفسك ؟**

هنا، على هذا الكوكب الصامت، نختبر هذا السؤال يوميًا، دون شعارات، ودون خطب.

ابتسم هويت ابتسامة غامضة، ثم قال وكأنه يخاطب المريخ أكثر مما يخاطب السياح :

◉ هذه المدينة ليست حجارة وممرات مضغوطة بالهواء فقط، إنها السطر الذي كُتب أخيرًا من نبوءة بدأت قبل خمسة قرون و اكتشفت قبل خمسة عقود.

نوستراداموس لم يكن يرى المريخ كما نراه نحن، بل كان يراه احتمالًا، بابًا يُفتح عندما تضيق الأرض بأهلها.

وجودنا هنا يعني أن الشق الأول من نبوءته قد تحقق بالفعل : الوصول إلى الكوكب الصدئ، والسكن في قلب صمته.

لكن النبوءات لا تُكافئ البشر كاملًا، بل تترك دائمًا مسافة للقلق.

الشق الآخر يتحدث عن نسخة واحدة، عن بشر بلا تباين، بلا صراع، بلا اختلاف.

قد يكون ذلك علمًا، وقد يكون هروبًا من ضعفنا الإنساني.

الخطر ليس في الفناء المباشر، بل في النجاة بثمنٍ باهظ.

نحن هنا نحقق الحلم، نعم، لكننا نوقظ السؤال أيضًا.

و مع نبوءة نوستراداموس تنتهي جولتنا السياحية الأولى لهذا اليوم ..

حين أنهى هويت كلامه، لم يعلّق أحد. لم يكن ذلك نقصًا في الإعجاب، بل لأن الجميع شعر بأن ما قيل لم يكن عرضًا سياحيًا، بل وصية غير مكتملة. المدينة من حولهم كانت

تعمل، تتنفس، تنتظر. ليست متعجلة لاستقبال البشر، لكنها مستعدة... إذا اضطروا يومًا لأن يأتوا وهم يعرفون تمامًا ما الذي يتركونه خلفهم.

الفصل الثالث

CRISPR

معلومات تمهيدية :

((تقنية **CRISPR** هي أداة حديثة لتعديل الجينات داخل الخلايا الحية.

فكرتها الأساسية تشبه **استخدام مقص دقيق جدًا لقص الحمض النووي.**

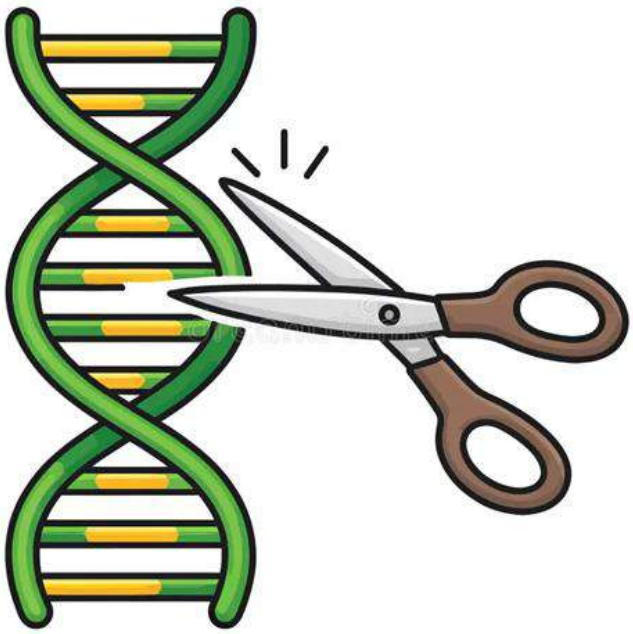

الحمض النووي هو الشفرة التي تحمل تعليمات بناء الكائن الحي.

كريسبر تسمح للعلماء بتحديد مكان الخطأ في هذه الشفرة.

بعد القص، يمكن حذف الجين المعيب أو استبداله بآخر سليم.

التقنية مستوحاة من نظام دفاعي موجود في **البكتيريا**.

وقد طوّرها العلماء لتصبح أداة دقيقة في المختبرات.

تتميز بالسرعة والدقة مقارنة بوسائل التعديل القديمة.

وتُستخدم اليوم في أبحاث الطب وعلاج الأمراض الوراثية.

كما تُدرس في مجالات السرطان والأمراض المستعصية.
لكن تأثيرها لا يتوقف عند العلاج فقط.
فهي تفتح نظريًا باب **التحكم ببعض الصفات الوراثية**.
مثل القابلية للأمراض أو القوة الجسدية أو حتى الذكاء.
وهنا يظهر السؤال المقلق :
هل يمكن تصميم إنسان بصفات مختارة ؟
الفكرة لم تعد خيالًا علميًا خالصًا كما في الماضي.
لكنها ما تزال محاطة بقيود علمية وأخلاقية صارمة.
العلم قادر على التعديل، لكنه لا يملك حكمة الاختيار دائمًا.
ولهذا تُعد كريسبر سلاحًا ذا حدين.
أداة شفاء محتملة، أو وسيلة لإعادة تعريف الإنسان.
ويبقى القرار النهائي بيد الإنسان... لا الجينات.))

بعد أربعين سنة ..

الولايات المتحدة الأمريكية / كاليفورنيا

2125 م ..

كان الطبيب **داني برايتمان** قد بلغ الحادية والستين، لكن الزمن لم يكن يمسك به من العمر إلا رقمه، فملامحه كانت تنتمي إلى زمنٍ آخر، زمنٍ يتقدّم فيه الفكر أسرع من الجسد. وجهه نحيل، كأنّ سنوات التفكير قد سحبت اللحم الزائد وأبقت العظم والمعنى. عيناه رماديتان، ليستا حادتين ولا وديعتين، بل عميقتان على نحوٍ مقلق، كأن من ينظر فيهما يشعر أنه يُرى أكثر مما يرى. شعره أبيض مبكرًا، لكنه لم يكن دليل تعب، بل شاهدٌ على احتراق داخلي طويل، احتراق عقلٍ لم يعرف الراحة. كان يرتدي دائمًا ملابس بسيطة، معطفًا أبيض فقد بريقه منذ زمن ، وقميصًا داكنًا بلا ربطة عنق، كأن الأناقة بالنسبة له فكرة فائضة عن الحاجة.

طباعه هادئة إلى حدٍ يُساء فهمه. يتكلم قليلًا، يصغي كثيرًا، وحين يتكلم يفعل ذلك بلا زخرفة، بلا محاولة إقناع، كأنه يلقي حقيقة لا رأيًا. لكن خلف هذا الهدوء عناد صلب، عناد من لا يغيّر قناعاته إلا إذا اقتنع هو، لا إذا أُقنع. كان يؤمن أن العلم لا يُدار بالديمقراطية، بل بالبصيرة، وأن الأفكار الكبرى غالبًا ما تولد في عزلة، لا في لجان. طموحه لم يكن صاخبًا، لم يسعَ إلى الجوائز ولا إلى المنصات، لكنه كان طموحًا عميقًا، يشبه الجذور لا الأغصان، طموحًا يريد أن

يغيّر الأساس لا السطح.

تخصصه في **البيولوجيا الجزيئية الخلوية** لم يكن خيارًا مهنيًا بقدر ما كان قدرًا. منذ شبابه المبكر انجذب إلى ما لا يُرى، إلى الخلية بوصفها كونًا مصغرًا، وإلى الجينات بوصفها لغة قديمة تكتب الحياة ثم تعيد كتابتها بلا استئذان.

وحين تعرّف على تقنية **CRISPR** التي ظهرت منذ قرن، لم يرَ فيها أداة فقط، بل مفتاحًا فلسفيًا : لأول مرة صار الإنسان قادرًا على مراجعة النص الذي كُتب به. لم يكن مهووسًا بالقوة، بل بالمسؤولية الثقيلة التي ترافقها. كان يقول في سرّه إن أرادت البشرية أن تقفز قفزات تطورية كبرى ، فعليها أن تغير تركيب الإنسان أولاً ، فهو أساس التطور .

عائلته كانت صغيرة، بعيدة، كأنها فصل سابق من حياته. والدان رحلا باكرًا، وأخت تعيش في ولاية أخرى، يتبادلان رسائل مقتضبة في الأعياد. لم يتزوج يومًا، لا لأنه لم يُحب، بل لأنه لم يعرف كيف يقسم قلبه بين إنسان وفكرة. علاقته العاطفية الوحيدة كانت مع مختبره، مع الضوء الأبيض البارد، مع الأصوات المنتظمة للأجهزة، مع الليالي التي تمتد حتى الفجر دون أن يشعر بها. كان المختبر بيته الحقيقي، والمكان الوحيد الذي يشعر فيه بأن العالم مفهوم، حتى وإن كان خطيرًا.

هناك، بين أنابيب زجاجية وواجهات رقمية، كان يعمل على مشروعه السري. لم يخبر به أحدًا، لا زملاءه ولا المؤسسات التي موّلته يومًا. لم يكن المشروع تجربة عابرة، بل خلاصة عمرٍ كامل من التفكير والتردد والجرأة. لم يكن يسعى إلى

علاج مرض بعينه، ولا إلى تحسين صفة محددة، بل إلى إعادة تعريف معنى الاستمرار الإنساني نفسه. كان يؤمن أن العالم يقف على عتبة جديدة، وأن الأدوات القديمة لم تعد كافية لعبور ما هو قادم.

في لياليه الطويلة، حين يفرغ المختبر إلا منه، كان يقف أحيانًا أمام نافذة صغيرة تطل على مدينة نائمة، ويتساءل إن كان يملك الحق في ما يفعل. ثم يعود إلى طاولته، إلى شاشاته، إلى شفرته الجزيئية غير المرئية، مقتنعًا بأن التوقف لم يعد خيارًا. كان يؤمن، بيقينٍ هادئ لا يعرف الضجيج، أن مشروعه لن يغيّر مسار العلم فقط، بل سيغيّر السؤال الذي يطرحه الإنسان عن نفسه :

هل نحن نتيجة ما كُتب لنا، أم ما نجرؤ على كتابته ؟

لم يكن مشروع داني برايتمان وليد لحظة إلهام عابرة، بل نتيجة تراكم بطيء، كترسٍ دار لعقود داخل عقله حتى استقر في موضعه الأخير. كان المشروع يقوم على شقّين متوازيين، قديمين في الجوهر، جديدين في الجرأة، كأنهما جناحان لفكرة واحدة تريد أن تطير خارج التاريخ المعروف. داني لم يرَ في عمله تحديًا للطبيعة، بل حوارٌ معها، محاولة لفهم منطقها العميق ثم إعادة صياغته بوعيٍ إنساني.

الشق الأول كان الامتداد الطبيعي لمسيرته كلها : التلاعب الواعي بجينات الإنسان، لا بهدف التجميل ولا التفوق الفجّ، بل لإنشاء إنسانٍ متوازن، عالي الكفاءة، قليل القابلية للمرض، قادر على الإنتاج دون أن ينهكه جسده. كان يتخيّل إنسانًا لا تُستنزف طاقته في مقاومة العلل، ولا تُهدَر سنواته

في صراع بيولوجي أعمى. إنسانًا تُخفَّف عنه أعباء الأخطاء الوراثية المتراكمة عبر آلاف السنين، تلك التي لم تكن يومًا جزءًا من "الاختيار"، بل نتيجة صدف قاسية.

في ذهنه، لم يكن "الإنسان الكامل" كائنًا خارقًا، بل إنسانٌ عادلاً مع جسده. جهاز مناعي لا ينقلب على نفسه، خلايا لا تنمو بلا معنى، أعضاء تعمل بتناغم لا بصراع. كان يرى أن الحضارة تطورت في أدواتها وأنظمتها، لكنها تركت الجسد متأخرًا، يدار بقوانين بدائية لا تعرف الرحمة. هذا الشق من المشروع كان، في نظره، وعدًا بتحرير الإنسان من هشاشته غير الضرورية، لا من هشاشته الوجودية التي تعطيه المعنى.

أما **الشق الثاني**، فكان مختلفًا، أكثر جرأة، وأكثر خطورة، وأكثر اقترابًا من جوهر النبوءات القديمة التي طالما قرأها داني بشغفٍ علمي لا ديني. اكتشافه للجين المسؤول عن مدة الحمل عند الإنسان لم يكن مجرد إنجاز بيولوجي، بل زلزالًا

مفاهيميًا. لماذا يحتاج الإنسان إلى تسعة أشهر كاملة، بينما حيوانات أخرى، أكثر تعقيدًا في بعض أنظمتها، تمر بتجربة الحمل في مدد أقصر بكثير ؟ كان يتأمل الطبيعة : حيوانات تولد بعد أسابيع، أخرى بعد أيام، وبعضها يأتي إلى العالم شبه مكتمل الاستقلال. لم يرَ في ذلك نقصًا إنسانيًا، بل خيارًا تطوريًا قديمًا، ربما لم يعد مناسبًا لعصر جديد.

فكرة اختزال فترة الحمل إلى ساعات قليلة لم تكن في عقله عبثًا أو جنونًا. كان يتصور عالمًا تُفك فيه عقدة الانتظار الطويل، عالمًا لا تُقيَّد فيه حياة المرأة بتسعة أشهر من التحوّل الجسدي والنفسي القاسي، عالمًا تُولد فيه الحياة دون أن تكون عبئًا بيولوجيًا طويل الأمد. لم يكن الهدف تسريع الزمن، بل إعادة توزيعه. أن تصبح الولادة حدثًا، لا رحلة استنزاف. أن يصبح الإنجاب قرارًا عقلانيًا لا مقامرة جسدية.

حين اكتملت الفكرة في رأسه، حين التحم الشقّان في رؤية واحدة، تغيّر داني من الداخل. لم يقفز، لم يصرخ، لم يحتفل.

جلس طويلًا في مختبره، يحدّق في الفراغ، وكأن عقله سبق جسده بخطوة خطيرة. شعر بشيء يشبه الخوف، لكنه لم يكن خوف الفشل، بل خوف النجاح. إحساس ثقيل بأن ما بين يديه لم يعد يخصه وحده، وأن العالم، دون أن يدري، يقف على بعد خطوة من إعادة تعريف ذاته.

تسللت إلى نفسه عزلة أعمق من أي وقت مضى. صار ينام أقل، لا لأن العمل يطارده، بل لأن الفكرة لا تتركه. كان يشعر أنه يقف على حافة زمنين : **زمن الإنسان كما عُرف، وزمن الإنسان كما يمكن أن يكون.** أحيانًا، وهو يسير في ممرات المختبر الخالية، كان يسمع صدى خطواته كأنها آتية من مستقبل بعيد، مستقبل سيذكر اسمه إما كمنقذ أو كمذنب.

ومع ذلك، لم يتراجع. كان هناك يقين هادئ، صامت، يشبه يقين الجبال. إحساس داخلي بأنه قاب قوسين أو أدنى من تغيير العالم إلى الأبد، لا بضربة هائلة واحدة، بل بتعديل صغير في الشيفرة العميقة للحياة. كان يعرف أن البشرية لن تعود كما كانت إن خرج هذا المشروع إلى النور. وكان السؤال الوحيد الذي لم يجد له جوابًا بعد هو :

هل العالم مستعد فعلًا لأن يولد من جديد... في ساعات قليلة؟

****

ما إن تسربت ملامح مشروع داني برايتمان إلى العلن، حتى بدا كأن طبقاتٍ خفية من العالم قد استيقظت دفعة واحدة، لا لتفهم، بل لتقاوم. المجتمع العلمي، الذي طالما اعتبره داني بيته الطبيعي، لم يستقبله بالدهشة بقدر ما استقبله بالتحفّظ

البارد، ذلك التحفظ الذي يختبئ خلف لغة دقيقة لكنه يحمل خوفًا قديمًا من القفز خارج المألوف. في المؤتمرات، جلس علماء بوجوه جامدة، يستمعون ثم يرفعون أيديهم لا لطرح أسئلة، بل لرسم حدود. قال أحدهم إن المشروع "**يقفز فوق أخلاقيات البحث**"، وقال آخر إن "**العلم لا يملك تفويضًا لإعادة كتابة الإنسان**". كانت كلماتهم مصقولة، منطقية، لكنها في عمقها كانت دفاعًا عن نظامٍ اعتاد البطء، وعن يقينٍ يخشى التسارع.

في لقاءات متلفزة، ظهر علماء أحياء مرموقون يتحدثون بنبرة تحذير. أحدهم قال إن تعديل الجينات على هذا النطاق "**يفتح بابًا لا يمكن إغلاقه**"، وآخر حذّر من "**تحويل الإنسان إلى منتجٍ قابل للتحسين والتحديث**". لم ينكروا عبقرية داني، لكنهم حاصروها، كأن العبقرية نفسها صارت موضع اتهام. كان الاعتراض الحقيقي، غير المعلن، هو الخوف من أن ينجح. لأن النجاح هنا لا يعني اكتشافًا جديدًا، بل انهيار أسئلة قديمة عاش عليها العلم طويلًا.

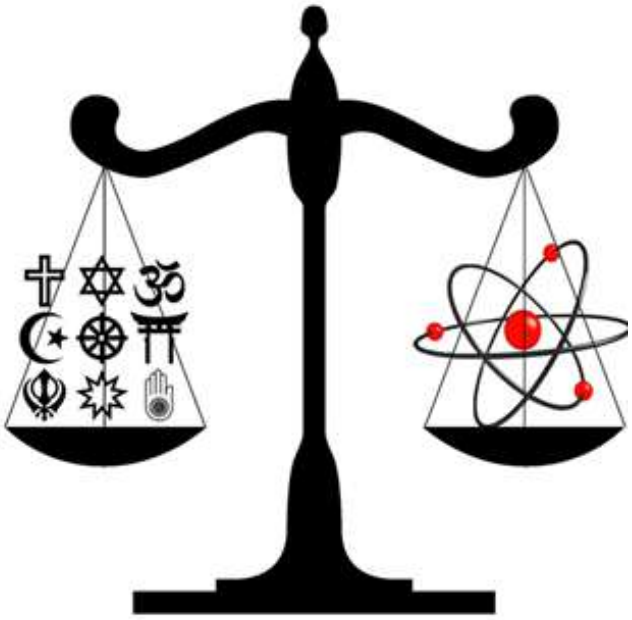

أما المؤسسة الدينية، فقد جاءت ردة فعلها أكثر صخبًا وأقل التباسًا. رجال دين من مذاهب متعددة وقفوا على المنابر، في الكنائس والمساجد والمعابد، يتحدثون عن "**التدخل في إرادة الخلق**"، عن "**كسر التوازن الذي أراده الله**"، عن "**غطرسة الإنسان حين يظن نفسه خالقًا**". في مقابلات مطولة، قال أحدهم إن اختزال الحمل إلى ساعات "**إلغاء لسرٍّ مقدس**" حيث يحتاج الأبوان فترة الانتظار الطويلة هذه كي يفهموا قيمة الأبناء فيعتنوا بهم و يمنحوهم الحب و الحنان و الرعاية المناسبة ، وقال آخر إن "**الإنسان ليس نصًا يُحرَّر، بل أمانة تُحفظ**". لم يكن الخطاب دقيقًا علميًا، لكنه كان قويًا رمزيًا، يخاطب خوفًا عميقًا في النفوس : **الخوف من عالم بلا أسرار.**

ثم جاء الصوت الشعبوي، الأعلى والأكثر فوضى. الشارع امتلأ بلافتات، بوجوه غاضبة، بشعارات تختصر التعقيد في جملة واحدة : "**لا للعب دور الإله**". مظاهرات في مدن كبرى، حشود تصرخ باسمه كأنه شتيمة، صوره تُحرق، ومشروعه يُختزل في كاريكاتير مرعب لطفل يولد من أنبوب بلا أم. مواقع التواصل اشتعلت، نظريات مؤامرة، مقاطع مجتزأة، تحليلات غاضبة من أناس لم يقرأوا سطرًا

واحدًا من بحثه، لكنهم شعروا أن شيئًا ما يهدد صورتهم عن أنفسهم.

في خضم هذا كله، كان داني يراقب من بعيد، كمن يشاهد حريقًا التهم بيته وهو ما يزال واقفًا في الداخل. الغضب لم يأتِ أولًا، بل خيبة أمل ثقيلة، بطيئة، تشبه تسرب الماء إلى العظام. شعر أن سنوات العزلة، الليالي البيضاء، الحوار الصامت مع الخلايا والجينات، كلها تبخرت فجأة، كأنها لم تكن. لم يؤلمه الرفض بحد ذاته، بل سطحية الرفض، ذلك الرفض الذي لم يحاول حتى أن يفهم.

الغضب أتى لاحقًا، على شكل نوبات صامتة. لم يصرخ، لم يحطم شيئًا، بل جلس طويلًا في مختبره الخالي، يحدّق في الأجهزة التي صارت فجأة موضع ريبة. شعر أن العالم لم يرفض مشروعه فقط، بل رفض صورته عن المستقبل. كأن البشرية قالت له بوضوح : لسنا مستعدين لهذا التغيير الجذري بعد ..

تبخرت الأحلام في فضاء الرأي العام ، و بقيت الخيبة في صدره كملحٍ لاذع، يحرق الجرح بدل أن يحفظه. ملح الرفض الذي لا يلتئم معه شيء. تساءل، لأول مرة بصدق مؤلم، إن كان قد سبق زمنه أكثر مما ينبغي، أو إن كان الزمن نفسه يخاف أن يُسبق. ومع ذلك، في عمق هذا الألم، بقي شيء صغير لم ينطفئ : يقينٌ عنيد بأن الأفكار التي تُقابل بهذا القدر من الخوف لا تموت، بل تنتظر. وأن العالم، مهما صرخ ورفض، سيعود يومًا ما، متعبًا، باحثًا عن الحلول ... ويجد – وفق قناعاته - اسمه هناك، محفورًا في بداية الطريق ، فهذا كان عزاء العلماء المرفوضين على الدوام عبر صفحات التاريخ .

الفصل الرابع

تقاطع مشاريع

معلومات تمهيدية :

((على مر التاريخ، حاول البشر تعديل الصفات الوراثية لأجيال معينة بهدف تحسين السلالة البشرية.

أقدم المحاولات المدونة كانت ضمن **حركة الإيجينية** في أواخر القرن التاسع عشر، وكان مؤسسها **فرانسيس غالتون** في بريطانيا حوالي عام **1883** ..

الهدف المعلن من الحركة كان تشجيع الإنجاب لدى الأشخاص "الأصحاء والأذكياء"، وفي المقابل تم تقييد الإنجاب للأشخاص ذوي الإعاقات العقلية أو الجسدية.

بين عامي **1900** و **1930**، قامت دول مثل الولايات المتحدة والسويد بتطبيق قوانين التعقيم القسري، مما خلف

آلاف الضحايا على نحوٍ مخالفٍ للضمير الإنساني و اللأخلاق.

أما أكبر مشروع لتطبيق الإيجينية على نطاق دولة كان في **ألمانيا النازية** بين عامي **1933** و **1945**، حيث سعى النازيون إلى إنشاء "**العرق الآري الخالص**" عبر برامج تزاوج محددة، وفي الوقت نفسه استبعدوا أو قتلوا من اعتبروا "غير مرغوب فيهم"، مثل اليهود والغجر والمعاقين.

نتائج المشروع النازي كانت كارثية أخلاقيًا وبشريًا ولم تنتج أي سلالة محسنة.

بعد الحرب العالمية الثانية، بدأ العلماء دراسة الصفات الوراثية في المختبرات، غالبًا على الحيوانات مثل الفئران، لفهم الصفات الذهنية والبدنية، بينما أي تجارب على البشر كانت محدودة جدًا أو ممنوعة قانونيًا وأخلاقيًا.

و اليوم مع تطور التقنيات الجزيئية و امكانية التلاعب بالجينات يبقى الرادع الأخلاقي الجدار الوحيد بين البشرية و اجراء تجارب أغرب من الخيال و غاية في الخطورة على الانسان أو الحيوان أو النبات..))

الولايات المتحدة الأمريكية

بعد ثلاث سنوات ..2128 م ..

لم يعد الطبيب داني برايتمان ذلك الرجل الذي كان يمشي في ممرات المختبر وكأنه يعرف إلى أين يتجه العالم. الزمن لم ينتقم منه بضربة واحدة، بل أنهكه بالتآكل البطيء. فشل تسويق مشروعه لم يأتِ كصدمة مفاجئة، بل كذبولٍ ممتد، سلسلة من الأبواب المغلقة، من الوعود المؤجلة، من الابتسامات المهنية التي تخفي رفضًا نهائيًا. في النهاية، أدرك أن العالم لم يكن يعارض فكرته فقط، بل كان مصممًا على نسيانها.

الاكتئاب لم يداهمه على هيئة حزن صاخب، بل تسلل كضباب كثيف. صار يستيقظ متأخرًا بلا سبب، يفقد اهتمامه بالأشياء التي كانت تمنحه المعنى، ويشعر بثقلٍ غير مرئي يجلس على صدره. المختبر، الذي كان امتدادًا لروحه، صار مكانًا خانقًا، كل جهاز فيه يذكّره بما لم يحدث، وكل ضوء أبيض يفضح فراغه الداخلي. ذات صباح، أغلق الباب خلفه بهدوء، لم يعلن شيئًا، لم يودّع أحدًا، كأن انسحابه كان تجربة أخيرة في الاختفاء.

اختار منزله الريفي البعيد عن المدن، حيث الطرق ترابية، والإشارات الخلوية ضعيفة، وحيث لا تصل الصحافة ولا الفضول العام. البيت قديم، تحيط به أشجار صامتة، وسقف خشبي يئنّ مع الريح، كأنه يشبهه. هناك، عاش داني على إيقاع بطيء، أيام تتشابه، ليالٍ طويلة بلا معادلات ولا

شاشات. كان يمشي كثيرًا، لا ليصل إلى مكان، بل ليستهلك أفكاره. أحيانًا يجلس أمام نافذة تطل على الحقول، يراقب تغيّر الضوء، ويشعر أن العالم يمضي بدونه دون أن ينهار.

في عزلته، لم يكن هاربًا من الناس فقط، بل من نفسه السابقة. من ذلك الرجل الذي آمن أن العقل وحده يكفي لتغيير المصير. ومع ذلك، في قلب هذا الصمت، بقي شيء خافت ينبض، فكرة لم تمت تمامًا، بل دخلت في سباتٍ طويل. داني لم يعد يحلم بتغيير العالم، لكنه لم يكفّ عن الإصغاء إليه، كأن الاكتئاب نفسه صار مرحلة انتقال، انتظارًا غامضًا لشيء لم يجرؤ بعد على تسميته.

في هذا اليوم ، كان المساء الصيفي ينسدل ببطءٍ مدروس، كأنه يعرف أن هذا الهدوء ليس عاديًا، وأن شيئًا ما سيكسره دون أن يعتذر. استلقى داني برايتمان على كرسيه الخشبي

العريض أمام البحيرة، جسده غارق في تعبٍ قديم، وعيناه نصف مغمضتين تتابعان ارتعاش الضوء على صفحة الماء. الكرسي، المصنوع من خشب داكن تشقق مع السنوات، كان يشبهه أكثر مما ينبغي؛ متينًا في جوهره، مهملًا في مظهره، صامتًا في ألمه.

المنزل الريفي خلفه كان ساكنًا، نوافذه مفتوحة على عتمة لطيفة، ورائحة الخشب المعتّق تختلط برائحة الأعشاب البرية. لا أصوات سيارات، لا خطوات بشر، فقط همس الريح وصرير بعيد لحشرة ليلية. في تلك اللحظة، شعر داني بأن العالم قد نسيه أخيرًا، أو ربما أنه هو من نسي العالم، ولم يعد في الأمر فرق يُذكر.

كان داخله مزيجًا غريبًا من الخواء والراحة. حزن بلا دموع، تعب بلا شكوى، ورضا مؤقت بالانسحاب. السنوات الثلاث مرّت عليه كظلٍ طويل، ولم يعد يقاومها. كان ينظر

إلى البحيرة لا كمن يبحث عن إجابة، بل كمن يقبل غيابها. حتى أفكاره صارت أقل حدّة، أقل إلحاحًا، كأن العقل نفسه تعلم الصمت.

حين رن الهاتف، بدا الصوت جارحًا للمشهد، نغمة إلكترونية باردة لا تنتمي إلى هذا المكان. انتفض قليلًا، لا خوفًا بل استغرابًا، ونظر إلى الشاشة بكسل. رقم غريب، طويل، بلا اسم، بلا بلد واضح. لحظة تردد مرّت عليه كوميض؛ كان يمكنه أن يتركه يرن، أن يحافظ على عزلة هذا المساء كما هي. لكن قلبه، رغم كل شيء، لم يمت فيه الفضول تمامًا.

مع رفع الهاتف إلى أذنه، شعر بتقلص خفيف في صدره، إحساس قديم عاد فجأة، إحساس الترقّب الذي كان يرافقه قبل التجارب الكبرى. صوته حين قال "ألو" خرج منخفضًا، متعبًا، لكنه ثابت. ومع الكلمات الأولى التي سمعها، تغيّر شيء في داخله، لا صدمة ولا فرح، بل وعي مفاجئ بثقل اللحظة. كأن الهواء نفسه صار أكثر كثافة، وكأن البحيرة توقفت عن الحركة احترامًا لما يحدث.

لم يفهم بعد ما الذي يُراد منه، ولم يحاول. كل ما شعر به كان ارتجافًا داخليًا دقيقًا، خليطًا من القلق والدهشة وشيء يشبه استيقاظ حلمٍ قديم. حين أنهى المكالمة، بقي على كرسيه، الهاتف ساكن في يده، وعيناه معلقتان على الأفق الذي ابتلعته العتمة. أدرك، دون أن يعرف لماذا، أن هذا المساء الهادئ لم يعد مجرد مساء، وأن عزلته التي بدت كاملة قبل دقائق فقط، قد تشققت بصمت، كما يتشقق الخشب العتيق تحت ثقلٍ غير متوقع.

لم يعد الأمر مجرّد اتصالٍ غامض حين اتضحت الهوية كاملة، بثقلها الرمزي وبالارتجاف الخفي الذي تتركه في الوعي. **لوثر بيرج**. الاسم الذي لا يُذكر كثيرًا لأنه لا يحتاج إلى تكرار، الرجل الذي تصدّر قوائم الثروة العالمية سنوات طويلة حتى صار رقمه المالي أشبه بأسطورة، لا يُقاس بالدولارات بقدر ما يُقاس بالنفوذ. رجل لا يظهر كثيرًا في العلن، لكن أثره حاضر في كل مكان، في المدن الذكية، في شبكات الطاقة، في المختبرات التي تغيّر خريطة الطب، وحتى في الفضاء حيث لا يفترض للمال أن يكون له ظل.

كان لوثر بيرج هو ذلك الظل. القابع خلف المشاريع الكبرى، المموّل الصامت، العقل الذي يدفع دون أن يوقّع، والذي يعرف متى يتراجع خطوة ليترك الآخرين يظنون أنهم في الواجهة. مشروع **X** مارس على كوكب المريخ لم يكن

استثناءً، بل ذروة هذا الحضور الخفي. لم يظهر اسمه في البيانات الصحفية، ولم يُرفع تمثاله في المدينة الحمراء، لكن من داخل دوائر ضيقة جدًا، كان معروفًا أن الحلم المريخي لم يكن ليغادر الورق لولا تدخله في اللحظة الحرجة ليتبنّى المشروع و يموّله، حين تردّد الجميع.

أن يطلب هذا الرجل لقاء داني برايتمان لم يكن حدثًا عاديًا، بل انزياحًا في ميزان العالم الصغير الذي عاش فيه داني ثلاث سنوات كاملة. لم يفرض لوثر مكانًا، ولم يحدّد مدينة أو زمانًا ضيقًا. قال فقط إنه مستعد للقاء داني متى يشاء، في أي مكان يفضّله، وكأن المسافة لا تعني شيئًا حين يكون القرار قد اتُّخذ. وكان هناك عرض، لم يُفصَح عنه بعد، لكنه مرتبط مباشرة بمشروعه العلمي الأخير، بذلك المشروع الذي لفظه العالم بصوتٍ واحد ثم مضى.

هذا وحده كان كافيًا. لم يحتج داني إلى تفاصيل، ولا إلى وعود. مجرد أن يُنطق اسم مشروعه مرة أخرى، من فم رجلٍ يعرف كيف يغيّر مسارات التاريخ بهدوء، كان كافيًا ليحرّك شيئًا عميقًا في داخله. تلك الشعلة الصغيرة، التي ظنّها رمادًا منذ زمن، اشتعلت فجأة، لا كنارٍ صاخبة، بل كجمرٍ صامت عاد يتوهّج.

شعر داني، وهو ما يزال جالسًا أمام البحيرة، أن الهواء صار أخف، وأن ثقل السنوات الثلاث لم يختفِ، لكنه انزاح قليلًا عن صدره. لم يعد وحده في مواجهة فكرة نبذها الجميع. هناك، في مكانٍ ما من هذا العالم أو خارجه، رجل رأى ما رآه هو، أو على الأقل أدرك قيمته قبل أن يحترق. وللمرة

الأولى منذ زمن طويل، لم يفكّر داني فيما خسره، بل فيما قد يُستعاد. وكأن الحياة، التي أوشكت أن تطوي صفحته بهدوء، قررت فجأة أن تعيد فتح الكتاب... من فصلٍ لم يُكتب بعد.

كانت المكالمة الهاتفية بينهما قد انتهت على اتفاق بلقاء يجمعهما هنا في منزله الريفي بعد ثلاثة أيام .

****

الجبال تتلاقى ..

وصل لوثر بيرج إلى المنزل الريفي كما تأتي الظلال الكبيرة : بلا ضجيج، وبلا حاجة إلى إعلان.

كانت السماء في ذلك الصباح ملبّدة بسحب خفيفة، لا تحجب الضوء تمامًا ولا تتركه حرًا، والبحيرة أمام المنزل تشبه صفحة تفكيرٍ متردد، ساكنة من بعيد، متكسرة في تفاصيلها القريبة.

وقف داني عند الباب حين رآه يقترب.

لاحظ أولًا مشيته : بطيئة، واثقة، كأن الأرض تعرفه وتفسح له الطريق.

لم يكن لوثر بيرج رجلًا يستعرض ثروته في مظهره ؛ معطف داكن بسيط ، قميص بلا أي علامة ، وجهٌ حاد القسمات ، عينان باردتان فيهما ذكاء لا يستعجل أحدًا.

قال بصوت رخيم وهو يمد يده :

◉ دكتور برايتمان... شكرًا لأنك قبلت لقائي في منزلك ..

ابتسم داني وهو يصافحه :

◉ الشرف لي سيد بيرج .. هذا المكان لا يحب الضجيج. ظننت أنه سيكون مناسبًا ..

بادله لوثر بابتسامة قصيرة.

◉ الأماكن الهادئة هي الوحيدة التي تُقال فيها الأفكار الخطيرة بصدق ..

جلسا قليلًا داخل المنزل، لكن الجدران بدت ضيقة على ما سيقال.

كان الصمت أثقل من الأثاث.

قال لوثر بعد دقائق من الحديث في العموميات :

◉ هل نخرج ؟ أفضّل أن نتحدث عن موضوعنا الخاص ونحن نمشي عند شاطئ البحيرة ..

◉ بالطبع .. لمَ لا !

خرجا معًا.

الماء قريب، الهواء بارد نسبيًا، والأشجار تحيط بالمكان كدائرة شهود.

بدأ لوثر الحديث دون تمهيد، كأن الزمن لا يسمح بالمقدمات.

◉ سأكون مباشرًا سيد برايتمان ، فأنا أحب الإيجاز بطبعي و بحكم عملي و مشاغلي . أنا مستعد لتمويل مشروعك بالكامل. ليس دعمًا جزئيًا، ليس منحة، بل تبنٍّ كامل ..

توقف داني عن المشي. نظر في عينيه بأملٍ لم يلبث أن

اختفى خلف غمامة من الأسى و الدهشة ، ثم قال :

◉ الأرض برمتها رفضت مشروعي سيد بيرج .. فماذا ينفعني التمويل ؟!

أجاب لوثر دون أن ينظر إليه :

◉ الأرض ترفض كل فكرة تهدد صورتها عن نفسها.

تابعا السير.

◉ لا إمكانية لتنفيذ مشروعك على هذا الكوكب. الضجيج الأخلاقي، الإعلام، الجماهير، الخوف... كلها ستخنقه .. لذلك لن ننفذه هنا على الأرض .

سأل داني بصوت منخفض مفعم بدهشة أكبر :

◉ أين إذن؟! في السماء !!

التفت لوثر نحوه أخيرًا و ثبّت نظره على عينيه.

◉ بالضبط ... سننفذه على المريخ.

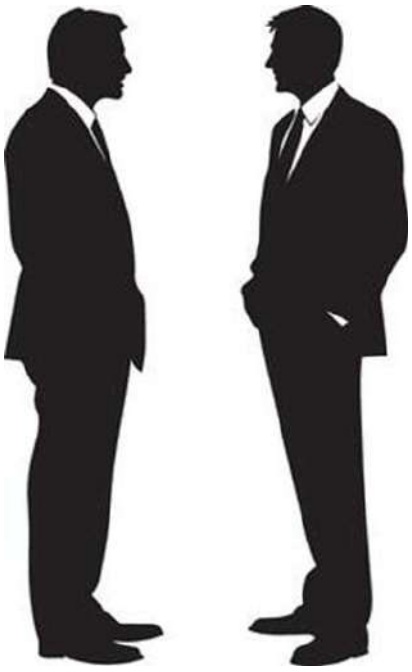

ساد صمت طويل.

الماء ارتطم بحافة الشاطئ كأنه يكرر الكلمة.

تابع لوثر بشغفٍ غريب و كأنه يتحدّث عن مشروعه هو :

◉ سأؤمّن انتقالك، فريقك، مختبراتك، كل ما تحتاجه. مدينة كاملة ستُبنى لأجلك هناك. ليست مستعمرة، بل منظومة علمية مستقلة.

داني و قد عجز عن الاستيعاب :

◉ مدينة... من أجلي ؟

◉ من أجل أحلامك .. ومن أجل مشروعك ..

توقف داني مجددًا. حان أوان السؤال الذي لا مهرب منه

قال أخيرًا، بصوتٍ واجه نفسه قبل أن يواجهه :

◉ و ما المقابل ؟

وقف لوثر عند شجرة قريبة، لمس جذعها بيده، كأنه يختبر صلابتها.

◉ لست وحدك من يمتلك مشروعاً دكتور برايتمان ، فأنا بدوري لدي مشروعي الخاص .. و لحسن حظنا معاً أنّ مشروعي يتكامل مع مشروعك. لا يتناقض معه ..

نظر إليه داني بحذر.

◉ تابع ..

◉ أريد إنشاء سلالة بشرية متطورة جينيًا... متطورة إلى درجة الكمال ..

تصلبت ملامح داني.

◉ الكمال... كلمة خطيرة ..

رفع لوثر يده اعتراضاً ..

◉ بل كلمة دقيقة. بشر بلا تشوهات، بلا إعاقات عقلية، بلا ضعف جسدي، بلا حدود بيولوجية عبثية.

قال داني ببطء :

◉ أنت تتحدث عن الإقصاء ..

◉ أنا أتحدث عن التطور، البقاء للأقوى و الأصلح ..

هبت نسمة قوية، حرّكت أوراق الأشجار، فبدت الطبيعة نفسها تعترض.

سأل داني بتوجّس :

◉ ولماذا ؟ ما غايتك النهائية ؟

نظر لوثر إلى البحيرة، لا إلى داني و تمتم .

◉ لإثبات نظرية.

◉ أي نظرية ؟

◉ أن ما يعيق البشرية ليس نقص الموارد ... بل نوعية البشر أنفسهم.

التفت لوثر إليه بنظرة غامضة .

◉ أريد أن يرى سكان الأرض سلالة تتفوق عليهم بمسافات ضوئية خلال سنوات. صحة، ذكاء، إنتاج، استقرار.

قوّس داني حاجبيه :

◉ وماذا بعد أن يروا ؟

أجاب لوثر بهدوء مرعب :

◉ سينصاعون لوجهة نظري ..

◉ كيف ؟!

◉ سيبدأون بالتصفية الطوعية .. سيطالبون بأنفسهم باستبدال الضعف بالقوة .. و عندها سيعود مشروعك ليستعمر الأرض التي رفضته طواعيةً ..

تراجع داني خطوة و همس بصوت مرتجف.

◉ لكن .. هذه ستكون إبادة.

لوثر بصوتٍ حازم :

◉ لا .. هذا اختيار.

صمت لثوانٍ ثم أضاف :

◉ حين يتسيد العرق المتفوق، ستنفتح للبشر أبواب الأرض ... والسماء ... المستقبل .. و ربما الماضي أيضاَ !!

زادت لهجته حزماً :

◉ سأعطيك كل ما تطلبه. مختبرات. بشر. حرية مطلقة.

ثم نظر إليه مباشرة :

◉ بشرط واحد .

داني بهدوء :

◉ أن أساعدك على تحقيق مشروعك بدورك ..

وضع يده على كتفه و قال بابتسامة عريضة :

◉ ستقود بنفسك مشروع الكمال على المريخ سيد برايتمان.

ساد صمت كثيف.

البحيرة بدت أعمق، والسماء أقرب.

كان العرض مغرياً علمياً بلا شك ، لكنه ينطوي على خروقات أخلاقية و دينية غير مسبوقة ..

قال داني أخيرًا :

◉ أحتاج أسبوعًا لأفكر فالموضوع شائك ..

أومأ لوثر.

◉ بالطبع ، الأفكار التي تغيّر العالم تستحق الانتظار..

نظر في ساعته ثم أردف ..

◉ الآن اعذرني سيد برايتمان فلدي اجتماع هام للغاية خلال ساعات و عليّ السفر على الفور ..

◉ أقدر عالياً مجيئك .. ربما ترك القدر مشروعينا يتقاطعان لأن كل منهما يحتاج الآخر و يكمّله ..

◉ هذا ما أتمناه .. إلى لقاءٍ آخر قريب مع أخبار جيدة ..

ثم استدار، ومشى مبتعدًا، تاركًا داني وحده ... معلّقاً بين أرضٍ لفظته ، و سماءٍ تمد يدها إليه الآن ، وعلمٍ قد يغيّر مصير الإنسان إلى الأبد.

****

مرّ الأسبوع على الطبيب داني لا كزمنٍ متتابع، بل كدوّامة بطيئة تلتف حول مركزٍ واحد لا يهدأ. لم يعد النهار واضح الحدود عن الليل، ولم يعد النوم راحة بل هدنة قصيرة بين جولاتٍ من التفكير القاسي. كان يستيقظ كل صباح وفي صدره محكمة كاملة : العلم في جهة، والضمير في جهة، والذاكرة - بتجاعيدها المهينة - تقف شاهدًا لا ينسى.

عاد إليه صدى الرفض العالميّ كما يعود الألم القديم مع تغيّر الطقس. تذكّر الوجوه الجامدة في المؤتمرات، الكلمات المصقولة التي أخفت خوفًا، والضحكات المكتومة خلف لغة الأخلاقيات. لم يكن رفض مشروعه علميًا خالصًا، بل كان اجتماعيًا، أخلاقيًا، شعبويًا، وكأن البشرية قررت أن تحاكم الفكرة قبل أن تفهمها. كان ذلك الرفض يمزّقه، لا لأنه أسقط مشروعه، بل لأنه أسقط ثقته بأن الإنسان يريد حقًا أن يتطوّر.

في المقابل، وقفت قناعاته العلمية ثابتة كصخرة وسط هذا الاضطراب. كان يعرف - بيولوجيًا، إحصائيًا، بلا أي رومانسية - أنّ الجسد الإنساني مليء بالأخطاء، وأن كثيرًا من المعاناة ليست قدرًا بل إهمالًا تاريخيًا. كان يؤمن أن العلم، حين يتوقف عند عتبة الأخلاق السائدة، يتحوّل إلى حارس للماضي لا صانع للمستقبل. ومع ذلك، فإنّ مشروع لوثر يفتح بابًا لم يكن مستعدًا لعبوره دون ارتجاف :

(التفوق بوصفه معيارًا، والإقصاء بوصفه نتيجة.)

كان يمشي كل مساء حول البحيرة، يراقب انعكاس وجهه على الماء، ويشعر كأنه ينظر إلى نسختين منه. واحدة ترى في عرض لوثر فرصة أخيرة، مساحة حرة يُنقذ فيها فكرته من القبر. وأخرى ترى في ذلك التحالف خيانة لجوهر العلم نفسه، ذلك الجوهر الذي يفترض أن يُخفف الألم لا أن يعيد تعريف من يستحق الحياة. كانت الخطوط الحمراء الأخلاقية حاضرة، واضحة، لكنه كان يلاحظ - بمرارة صامتة - أن من رسموها هم أنفسهم من أغلقوا الأبواب في وجهه.

مع اقتراب نهاية الأسبوع، بدأ الميزان يميل، لا بفعل منطقٍ جديد، بل بفعل إحساسٍ قديم عاد إلى السطح : الحقد. حقد ليس على البشر كأفراد، بل على رد فعلهم الجماعي، على سذاجتهم حين خافوا مشروعه، وعلى قسوتهم حين رفضوه دون بديل. شعر أن العالم لا يستحق حمايته من أفكاره، وأن العلم الذي يُكسر باسم الأخلاق لن ينتج إلا أخلاقًا هشة. طموحه، الذي حاول دفنه، نهض من جديد، أكثر صلابة، أقل رحمة.

في مساء اليوم السابع، جلس في المكان ذاته أمام البحيرة. لم يعد الماء ساكنًا، كانت الريح تعبث بسطحه كما تعبث الأفكار برأسه. مدّ يده ببطء إلى الهاتف. لم يعد هناك نقاش داخلي، بل قرار ثقيل استقر أخيرًا. طلب الرقم دون تردد. وحين جاءه الصوت من الطرف الآخر، لم يشرح، لم يبرّر، لم يفاوض. قال بهدوءٍ حاسم، كمن يغلق بابًا خلفه إلى الأبد :

◉ سيد لوثر ... أنا موافق ..

الفصل الخامس

بذور سوداء في تربة حمراء

معلومات تمهيدية :

((في عالم الحيوان تتنوع فترات الحمل ودرجة اكتمال المولود بشكل مدهش، وكأن الطبيعة جرّبت كل الاحتمالات الممكنة.

هناك حيوانات تلد بعد فترات حمل أقصر بكثير من الإنسان، وغالبًا ما يكون وليدها ضعيفًا يحتاج إلى رعاية طويلة.

فالقوارض مثل الفأر والأرنب تحمل لأسابيع قليلة فقط، وتلد صغارًا عمياء عارية لا تقوى على الحركة.

والقطط والكلاب، رغم قربها من الإنسان، لا يتجاوز حملها شهرين تقريبًا، وتولد صغارها غير قادرة على السمع أو الرؤية في البداية.

هذه الكائنات تعوّض قِصر الحمل بكثرة عدد المواليد وبعناية أمومية مكثفة في الأسابيع الأولى.

في المقابل، هناك حيوانات تلد مواليد مكتملة النمو، وكأنها خرجت إلى العالم وهي مستعدة للحياة فورًا.

فالخيل والغزلان والزرافات تحمل لفترات أطول من الإنسان أحيانًا، لكنها تلد صغارًا تقف على أرجلها بعد دقائق أو ساعات.

صغير الغزال يستطيع الجري مع القطيع في اليوم نفسه تقريبًا، هربًا من المفترسات.

وصغير الحصان يولد بعينين مفتوحتين وعضلات قوية، قادرًا على الحركة والاستجابة السريعة.

حتى بعض الحيوانات البحرية، كالدلافين، تلد صغارًا سبّاحين بالفطرة يتبعون أمهاتهم فور الولادة.

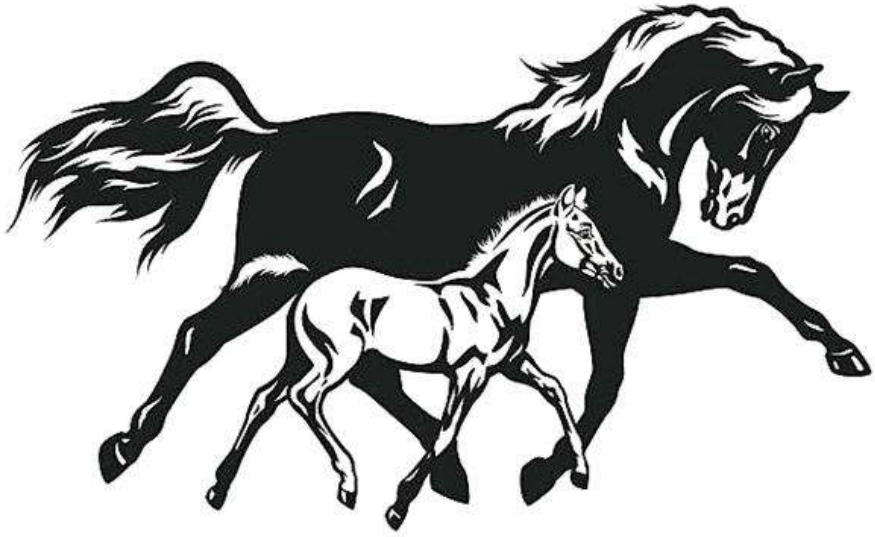

هذا الاختلاف يعكس استراتيجيتين للحياة: الأولى تعتمد على سرعة التكاثر وكثرة النسل مع ضعف المولود ..

والثانية تراهن على مولود واحد أو اثنين لكن بقدرة عالية على الاستقلال المبكر.

الإنسان يقف في المنتصف تقريبًا؛ حمله طويل نسبيًا، لكن وليده يولد عاجزًا يحتاج سنوات من الرعاية.

وكأن الطبيعة قالت إن الذكاء والتعلّم عند الإنسان سيعوّضان ضعف الجسد في البداية.

وهكذا، من فأر يولد بلا حول، إلى غزال ينهض بعد لحظات، تتجلى عبقرية التنوع في قوانين الحياة.

لكن يبقى السؤال :

هل يمكن التلاعب بالجينات لتحقيق فترة حمل أقل مع ولدان مكتملين و أكثر استقلالية ؟!))

الولايات المتحدة الأمريكية

بعد عام ..2129 م ..

بدأ استعداد الطبيب داني للسفر إلى المريخ لا كرحلة، بل كطقس عبور. لم يحزم حقائب بالمعنى التقليدي، ولم يودّع مكانًا بقدر ما كان ينسلخ عن زمن كامل. المنزل الريفي .. المختبر .. كل شيء بدا أصغر كل يوم، كأنه يعرف أن صاحبه لم يعد ينتمي إليه. كان داني يتحرك كظلٍ منشغل، عيناه لا تستقران على شيء، لأن كل ما يراه صار مؤقتًا. وجهته لم تكن كوكبًا فقط، بل مرحلة جديدة من التاريخ الإنساني، مرحلة لا عودة بعدها.

أهم استعداداته لم يكن السفر ذاته، بل ما سيحمله معه في جوهره : **الخريطة الجينية للبويضة الأولى، البذرة التي ستُشتق منها سلالة الكمال.** جلس داني أيامًا وليالي أمام شاشات مضيئة، لا بوصفه عالمًا فقط، بل مهندس مصير. كان يراجع كل زوج قاعدي، كل احتمال، كل تداخل وراثي، كأنما يكتب دستورًا للحياة لا مسودة بحث. هذه لم تكن تجربة، بل إعلان قطيعة مع الصدفة التي حكمت التطور آلاف السنين كما يؤمن بنفسه.

بدأ بتصميم جينوم لا يعرف المرض. ألغى القابليات الوراثية للسرطان، لأمراض المناعة الذاتية، للاضطرابات العصبية التي تنهش العقل ببطء. لم يكن الهدف جسدًا لا يموت، بل جسدًا لا يخون صاحبه من الداخل.

ثم رفع مستوى الذكاء، لا بزيادة واحدة، بل بإعادة تنظيم كاملة للشبكات العصبية، كثافة تشابكية عالية، سرعة معالجة خارقة، ذاكرة لا تتآكل. عقل لا يكتفي بالفهم، بل يولّد الفهم.

القوة الجسدية جاءت نتيجة منطقية، لا استعراضًا. ألياف عضلية معاد ضبطها، كثافة عظمية تقاوم الجاذبية المنخفضة، قدرة على التحمل دون استنزاف. كائن مصمم ليعيش في بيئة قاسية دون أن يتحول إلى وحش.

ثم جاء القرار الأكثر برودة : غياب الوظيفة الجنسية. أزال داني الحاجة البيولوجية للتكاثر التقليدي، لا كقمع، بل كتحرير. هذه السلالة لن تُدار بالغريزة، بل بالإنتاج، بالوظيفة، بالغاية.

الشكل لم يُترك للصدفة. وجوه متناسقة، ملامح جذابة للجنسين، لا لأن الجمال ضرورة بيولوجية، بل لأنه أداة نفسية. كان يعرف أن الجمال قوة ناعمة، وأن التفوق حين يكون جميلًا يصبح مقنعًا.

أما الحمل، فقد أعاد تعريفه كليًا. ساعات قليلة بدل شهور، اختصار الزمن نفسه، ولادة لا تستنزف، حياة تُستدعى بدل أن تُنتظر.

حتى التنفس خضع لإعادة كتابة. احتياج ضئيل للأكسجين، كفاءة خلوية أعلى، قدرة على العيش في هواء فقير دون انهيار. صفة صُممت خصيصًا للمريخ، لعالم لا يرحم الرئتين.

أضاف صفات أخرى، متفرقة لكنها حاسمة : مقاومة عالية للإشعاع، استقرار نفسي منخفض القابلية للانهيار، نوم قصير، تركيز طويل، انفعالات مضبوطة لا باردة ولا فوضوية.

حين اكتملت الخريطة الجينية واحدة لذكر و أخرى لأنثى ، شعر داني بشيء يشبه الرهبة. لم ينظر إلى الشاشة كمن ينتصر، بل كمن يدرك أنه تجاوز خطًا لا يُمحى. ومع ذلك، لم يتراجع. انتقل إلى المرحلة الأخيرة : تشكيل البيضة الأولى. لم تكن لحظة احتفال، بل صمت مطبق. خلية واحدة، تحمل كل هذا الطموح، كل هذا الجنون، كل هذا الانتقام المؤجل من بشر قالوا له "لا."

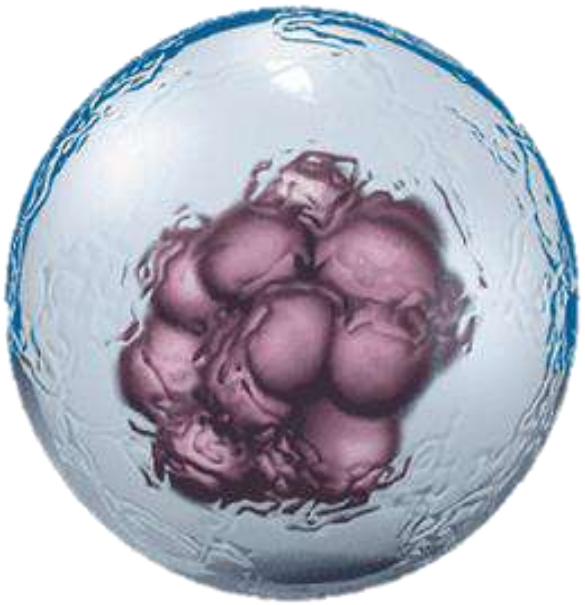

ومن تلك البويضة، بدأ الاستنساخ. آلاف النسخ الخلوية ، متطابقة، نقية، خالية من التفاوت. وُضعت في حاضنات خاصة، ثم حُفظت بعناية، كأنها ذخيرة مستقبل لا حرب. لم يسمّها أطفالًا، ولم يجرؤ على تسميتها بشرًا بعد. كانت

بذورًا، تنتظر تربة جديدة، سماء حمراء، وكوكبًا لا يعرف بعد معنى الخطيئة.

وحين انتهى كل شيء، أدرك داني أن سفره الحقيقي لم يكن إلى المريخ، بل إلى منطقة في ذاته لم يظن يومًا أنه سيدخلها. منطقة حيث العلم لم يعد سؤالًا... بل قرارًا.

أما الخطوة الثانية من المشروع فتمت في صمتٍ إداري بارد، بلا احتفال ولا عدسات، كأنها إجراء روتيني لا يحمل في جوفه كل هذا الثقل الإنساني. جلس الطبيب داني في قاعة صغيرة محايدة، جدرانها رمادية، إضاءتها بيضاء بلا ظل، وأمامه عقود مصفوفة بعناية، أوراق سميكة تحمل لغة قانونية جافة تخفي خلفها أكثر التجارب قسوة وطموحًا. لم يكن في الغرفة ما يوحي بأن ما يحدث هنا سيعيد تعريف معنى الحمل، ولا بأن هذه التواقيع ستفتح بابًا لا يُغلق في تاريخ البشر.

دخلت الفتيات واحدة تلو الأخرى. عشرون شابة في العشرينيات من العمر، ملامحهن مختلفة، لكن ما يجمعهن كان أوضح من أي تشابه جسدي : صحة جيدة، أجساد قوية لم تُنهكها الأمراض، وعيون تحمل أثر بيئات قاسية لم تترك لهن كثيرًا من الخيارات. بعضهن جئن من أحياء منسية، أخريات من دول أنهكها الفقر، ومن حيوات كانت الأبواب تُغلق فيها أسرع مما تُفتح. لم يكن داني يبحث عن اليأس، لكنه لم يكن يتجاهله أيضًا؛ كان يعرف أن من يقبل بهذا العقد لا يفعله بدافع الفضول العلمي، بل بدافع النجاة.

العقود كانت واضحة إلى حد القسوة. قبول الخضوع لتجارب

حمل يومية لمدة خمس سنوات على كوكب المريخ، ضمن بيئة مراقبة بالكامل، دون أي حق في الإفصاح أو الحديث أو التسريب. السرية التامة كانت بندًا لا يقبل التأويل، ليس حماية للمشروع فقط، بل حماية للعالم من صدمته المبكرة.
في المقابل، كان الرقم مكتوبًا بوضوح لا يقل صدمة : عشرة ملايين دولار لكل واحدة. مبلغ يكفي لقطع سلاسل الفقر، لتغيير مصائر عائلات كاملة، لشراء مستقبل لم يكن ممكنًا قبل هذه اللحظة.

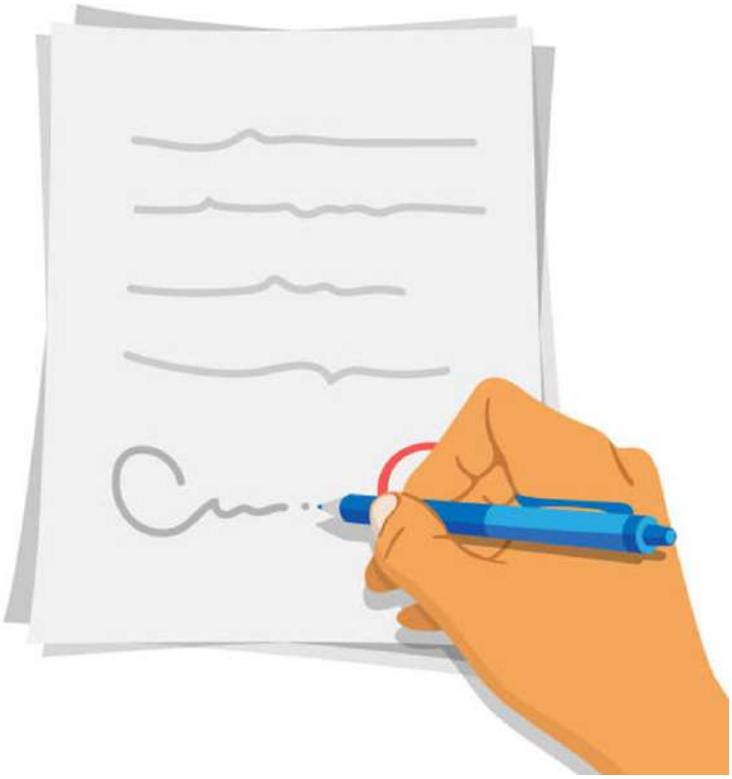

داني لم يخاطبهن كعالم يخطب في مختبر، بل كرجل يعرف أنه يطلب أكثر مما ينبغي. شرح ببرودٍ محسوب ما هو مكتوب، أعاد التأكيد أن التجربة ليست عاطفية، ولا أمومية، ولا شخصية. كانت وظيفة. دورًا في مشروع أكبر من الجميع. لم يكذب، لكنه لم يقل كل شيء. كان يعرف أن الكلمات التي لم تُقل أثقل من تلك التي قيلت.

وقّعن العقود بأيدٍ ثابتة على غير المتوقع. بعضهن توقفت لحظة، قرأت الاسم، قرأت الرقم، ثم وقّعت كمن يقفز من مكان مرتفع دون أن ينظر إلى الأسفل. لم يكن في الغرفة دموع، ولا دراما. فقط صمت كثيف، وإحساس غير معلن بأن الفقر، حين يواجه العلم، لا يملك ترف الأسئلة الأخلاقية.

حين انتهى كل شيء، وبقي داني وحده مع الأوراق الموقعة، شعر بثقلٍ غريب في صدره. لم يكن ندمًا، ولم يكن فخرًا. كان إدراكًا حادًا بأنه لم يعد يعمل على الجينات فقط، بل على البشر أنفسهم، على هشاشتهم، وعلى استعدادهم لبيع الزمن والجسد مقابل فرصة للخلاص. طوى العقود بعناية، كمن يطوي فصلًا لا يريد إعادة قراءته، وعرف في قرارة نفسه أن الرحلة إلى المريخ لن تحمل معه العلم وحده ... بل هذه التواقيع أيضًا، بكل ما تحمله من صمتٍ وديونٍ أخلاقية مؤجلة.

****

جاء يوم السفر كحدثٍ بلا تاريخ معلن، بلا عدٍّ تنازلي، وبلا وداع. كل شيء جرى تحت طبقة سميكة من العادية المصطنعة، كأن السرّ لا يُخفى بالظلام بل بالضوء الزائد. في جداول الرحلات كانت مجرد جولة سياحية جديدة إلى المريخ، واحدة من تلك الرحلات التي اعتاد الإعلام على التعامل معها بملٍل فاقد للدهشة. لكن خلف هذه التسمية البسيطة، كان شيء آخر يتحرّك بهدوءٍ مريب.

وصل داني باكرًا إلى منصة الإقلاع، لا يحمل سوى حقيبة صغيرة، وكأنه مسافر خفيف لا عالم يجرّ وراءه مستقبلًا كاملًا. ملامحه كانت ساكنة، محايدة، لكن عينيه لم تكونا كذلك ؛ فيهما يقظة حادة، ذلك النوع من الوعي الذي يظهر عند من يعرف أنه لن يعود كما ذهب. طاقمه المهني وصل تباعًا : علماء، أطباء ، مهندسو أحياء، تقنيون، معلمون .. وجوه مختارة بعناية، لا يجمعهم الحلم بل الكفاءة والصمت. لم يكن بينهم من يطرح أسئلة خارج اختصاصه، فالأسئلة هنا ترفٌ خطير.

التجهيزات نُقلت في حاويات مصنّفة كمعدات بحثية سياحية : أجهزة تحليل، حاضنات، وحدات تخزين بيولوجي، كل شيء مغلّف بلغة بيروقراطية دقيقة تُفرغ المعنى من خطورته. ما لم يظهر في القوائم هو القيمة الحقيقية لهذه الصناديق، ولا حقيقة أنها تحمل بذور سلالة كاملة، لا معدات للعرض.

الفتيات وصلن مع بقية السياح. ملابس مريحة، حقائب شخصية، بطاقات تعريف لا تختلف عن غيرها. وجوههن حاولت أن تبدو عادية، لكن الصمت كان أثقل من أي قناع. بعضهن بدت عليهن ملامح توتر مكبوت، أخريات تمسّكن ببرودٍ دفاعي، كأن العقل قرر أن يُغلق قبل أن ينهار. لم يتحدثن كثيرًا، لا مع بعضهن ولا مع غيرهن. كنّ يعشن اللحظة كمن يوقّع بقدميه على أرض مجهولة قبل أن يسأل عن اسمها.

حين صعد الجميع إلى المركبة، لم يكن هناك فصل واضح

بين "السياح" و"الطاقم". هذا التداخل كان مقصودًا، جزءًا من الغطاء. الضحكات الخفيفة، الصور، التعليقات العابرة عن النجوم، كلها كانت جزءًا من مسرحية مُحكمة، فيما كان داني يجلس في مقعده، يراقب المشهد دون أن يشارك فيه. كان يعرف أن هذا الضجيج المؤقت سيذوب سريعًا حين يبتعدون عن الأرض، وأن الصمت الحقيقي سيبدأ هناك، بعد الإقلاع.

عندما أُغلقت الأبواب وبدأ العدّ، لم يشعر داني بالإثارة، بل بشيء أقرب إلى الاعتراف. لم يعد هناك مجال للتراجع، ولا مساحة للتفكير الأخلاقي المجرد. كل ما بقي هو التنفيذ. اهتزّت المركبة، وارتفع الصوت، وبدأت الأرض تنكمش خلف النوافذ. في تلك اللحظة، لم يرَ داني كوكبًا يبتعد، بل فصلًا يُغلق. ومع اندفاع المركبة نحو السماء، كان السرّ محكم الإغلاق، يسافر معهم، مختبئًا في الملفات، في الخلايا، وفي صمت أولئك الذين يعرفون أن هذه ليست رحلة

سياحية... بل هجرة فكرة مضطهدة إلى كوكبِ خلاص لتعبر عن نفسها بحرية عليه ..

****

بعد أسبوع من الوصول إلى المريخ ...

كان كل شيء على أهبة الاستعداد. **مدينة X مارس سوبر** المصممة خصيصاً لمشروعي لوثر و داني امتدت على مسافات واسعة ، مجهزة بالكامل لاستقبال أول تجربة حقيقية على الكوكب الأحمر.

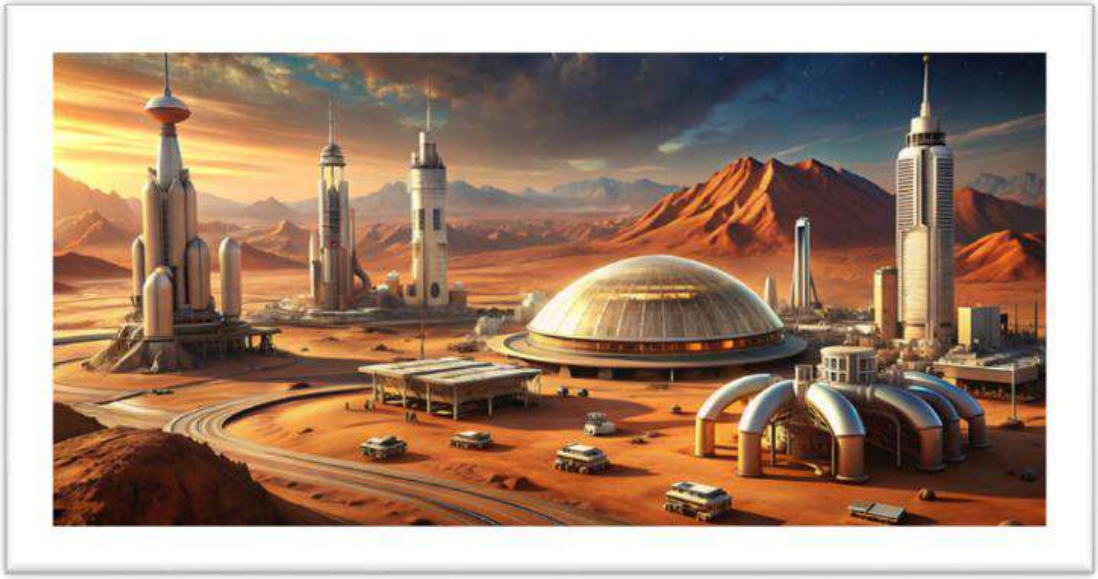

كل حاضنة، كل جهاز، كل أنبوب تم وضعه في موضعه بدقة متناهية، كأنها تجهيزات لمسرح حيث يُعرض الفصل الأكثر جرأة في تاريخ البشر. الفتيات تم اختيار أماكنهن بعناية، وتم تجهيز أجنحة خاصة لكل واحدة، حيث الخصوصية والرقابة الكاملة تتعايشان معًا.

بدأت التجربة بحذر، بيد داني وطاقمه الطبي الماهر، ومعهم

كل التقنية التي يمكن أن يطلبها علم البيولوجيا الحديثة. تم حقن البويضات المجهزة بالخريطة الجينية الكاملة في أرحام الفتيات. لحظة الانغراس كانت صامتة، لكنها كانت لحظة التقاء الحلم بالواقع، شعور لم يكن يمكن لأحدٍ في الأرض أن يتخيله. الأجنة بدأت في التطور بسرعة مذهلة، تتبعها أجهزة الاستشعار والمراقبة عن كثب لمدة **14** ساعة، وهي الفترة التي حددها داني كمدة الحمل المتوقعة الأولى، مع احتساب سرعة التطور التي صممها في الجينات.

كانت الساعات الأولى مخيفة للفتيات. شعور مفاجئ بالانتفاخ، وحركات غريبة داخل البطون، أصوات خفيفة من الداخل، كل شيء أسرع وأكثر وضوحًا مما يمكن للعقل البشري أن يستوعبه. بعضهن شعرن بالدوار والخوف، حاولن الحركة أو التحدث، لكن النظام مراقب بدقة. تدخل الطاقم الطبي بذكاء، مع استخدام كمية محسوبة من المهدئات التي خففت التوتر دون أن تؤثر على العمليات الحيوية. البطون هدأت، تحركات الأجنة أصبحت متناسقة أكثر، والنساء بدأت يعتدن على الإحساس الجديد الغريب على أجسادهن.

حين حان وقت الولادة، تم نقل الفتيات إلى غرف عمليات معقمة ومجهزة بالكامل. الأطباء، متأهبون كجنود في ساحة اختبار، أداروا كل خطوة بحذر وهدوء. ولدت الأجنة دون أي تعقيد، في صمت يوازي صمت المريخ المحيط، لكن مع احترافية عالية. كانت اللحظة مدهشة : كل ولادة طبيعية، كل طفل يبدو صحيًا، بلا تشوهات، بلا اضطرابات، وكأن

الطبيعة نفسها صمتت احترامًا لإتقان العلم. داني راقب كل حركة، كل نبضة قلب، كل تنفس، وكأنه يشهد على ولادة فكرة تتحول إلى كائن حي.

الولدان الأوائل تم فحصهم بدقة : وظائف قلبية، أداء دماغي، استجابة جسدية، كل شيء طبيعي. لم تكن هناك أي مشاكل، ولم يظهر أي أثر للتلاعب الجيني إلا في الصفات المتوقعة التي صمّمها داني.

بعد استقرار الحالة، تم تأجيل دورة الحمل الجديدة ، حتى تنتهي مراقبة الدفعة الأولى من المواليد وتتأكد النتائج قبل الانتقال إلى المرحلة التالية و تكرار التجربة .

الفصل السادس

الطبيب الموعود

معلومات تمهيدية :

((يولد الطفل مع عالمه الصغير، حيث كل شيء جديد ومهيب بالنسبة له، وحركاته في البداية بدائية، مجرد انعكاسات فطرية على الأصوات واللمس.

خلال الشهرين الأولين، يبدأ بالتمييز بين الضوء والظلام، ويستجيب للصوت بابتسامة خفيفة، أول علامة على التواصل الروحي مع من حوله.

مع نهاية الشهر الثالث تقريبًا، تصبح الابتسامة أكثر وضوحًا وتتحول إلى استجابة اجتماعية، ما يعكس وعيه الداخلي بالآخرين.

بين الشهر الرابع والسادس، يبدأ الطفل بمحاولات رفع رأسه والالتفات نحو الأصوات والألوان، وتتحسن قدرة يديه على الإمساك بالأشياء الكبيرة.

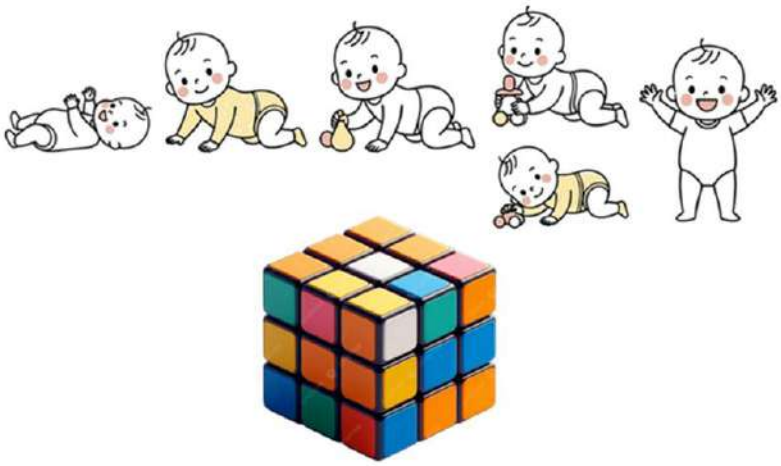

مع حلول الشهر السادس تقريبًا، يظهر الضحك الحقيقي، علامة على فرح داخلي ونمو الروح الاجتماعية، ويبدأ الزحف ببطء لاستكشاف البيئة المحيطة، مما يعكس نموه الحركي.

في الشهر التاسع، يصبح الطفل قادرًا على الجلوس بثبات، ويحاول الوقوف بمساعدة من حوله، ويبدأ التفاعل بالكلام المبسط مثل "ماما" أو "بابا"، تعبيرًا عن رغبته في التواصل الروحي.

عند السنة الأولى تقريبًا، يخطو أولى خطواته، وهي لحظة فاصلة في استقلاله الحركي والاعتماد على الذات، ويزداد فضوله للعب والاكتشاف.

بين السنة الثانية والثالثة، يتحسن التوازن ويصبح المشي أكثر ثباتًا، ويبدأ الجري والتسلق، بينما تتوسع مفرداته اللغوية، فيرتبط الكلام بالمشاعر، فيضحك، يغضب، ويظهر قدرته على التعبير الداخلي.

مع حلول السنوات الثالثة والرابعة، يصبح الطفل أكثر قدرة على اللعب الجماعي، يشارك الآخرين، ويتعلم الانتظار والتناوب، ما يعكس تطور وعيه الاجتماعي والروحي معًا.
يتحسن التحكم اليدوي، يمسك بالقلم، يرسم، يبني، ويستخدم الخيال في اللعب، فتتنامى القدرة على التعبير عن ذاته الداخلية.

قرب السنة الخامسة، يصبح الطفل قادرًا على التوازن بين النشاط الجسدي والتواصل العاطفي، يعرف القواعد البسيطة، يفهم الحدود، ويبدأ في تكوين إحساس أخلاقي وروحي أولي، بينما تستمر حركته في النمو وتصبح أكثر رشاقة وثقة.
بحلول هذه المرحلة، يكون الطفل قد اجتمع فيه تطور حركي متقن وروحانية بدائية وفضول داخلي مستمر، مستعدًا لمراحل أوسع من التعلم والاكتشاف.))

كوكب المريخ ..

خلال الأسابيع التالية ..2129 م ..

في صمت غرف المراقبة، وسط أجهزة القياس وشاشات البيانات، شعر داني بالرهبة والطمأنينة في آن واحد. لقد بدأت فكرته تتحول إلى واقع ملموس، سلالة كاملة الصفات، قادرة على العيش في بيئة لم تُعدّ من قبل للبشر. المريخ، بامتداده الأحمر الفارغ، لم يعد مجرد حلم علمي، بل مختبر لحياةٍ جديدة ..

الفتيات اللواتي خضعن للتجربة بتنَ جسرًا بين الماضي البشري والحياة التي سيبتكرها البشر على كوكبٍ لم يعرف الإنسان عليه سوى الغبار والصمت حتى الآن.

مضت الأسابيع التالية بعد ولادة الدفعة الأولى من الولدان على سطح المريخ وكأن الزمن نفسه انكمش. كل حاضنة، كل غرفة مراقبة، كل شاشة عرض، امتلأت بالبيانات عن عشرات الأطفال الذين لم يولدوا فقط، بل وُلِدوا لتكون حياتهم أسرع، أكثر تركيزًا، وأكثر قدرة على التفاعل من أي بشر عرفهم العالم من قبل.

كان داني وطاقمه يقفون أمام هذا الانفجار الحي من الحياة، و ما كان مذهلًا، ولم يجرؤ أي علم على توقعه بهذا الشكل، هو السرعة الهائلة لتطور الولدان . فخلال ساعات قليلة بعد الولادة، بدأ معظمهم بإصدار أصوات مبكرة، كلمات أولية، موجات تفكير خجولة ، كأنها إشارات إلى أن العقول تعمل أسرع، وأن الجينات المعدلة تؤدي مهمتها في تسريع

نمو الإدراك. داني شاهد بذهول كيف حاولوا التنقل في أسطح الحاضنات، يكتشفون المساحات المحيطة بهم، يستجيبون للمؤثرات الضوئية والصوتية بشكل متقن.

في غضون أسبوعين، بدأ معظمهم المشي بثقة مذهلة، خطوات ثابتة، توازن استثنائي، وانعكاسات حركية دقيقة. لم تعد الحركة مجرد أداء جسدي، بل تجسيد لوعي داخلي مبكر، تفاعل مع البيئة بشكل يفوق أي طفل بشري في عمره الزمني.

كل حركة، كل نظرة، كل استجابة كانت توضح أن سرعة **التطور الروحي الحركي** لدى هؤلاء الولدان تضاعفت عشرات المرات مقارنة بالبشر الطبيعيين.

التجربة الأكثر جرأة كانت **بيئة الحاضنة منخفضة الأكسجين**، المحاكاة الأولى للجو المريخي. الولدان عاشوا فيها بلا أي آثار جانبية. نبضاتهم منتظمة، وظائفهم الحيوية مستقرة، نشاط الدماغ طبيعي، وحتى التكيف مع مستويات

الأكسجين المنخفضة كان مثاليًا. داني لاحظ أن كل طفل قادر على تحمل نقص الأكسجين دون أي تأثير سلبي، وهو ما يؤكد نجاح التعديل الجيني وقدرة هذه السلالة على العيش على كوكب لم يُهيأ للبشر من قبل.

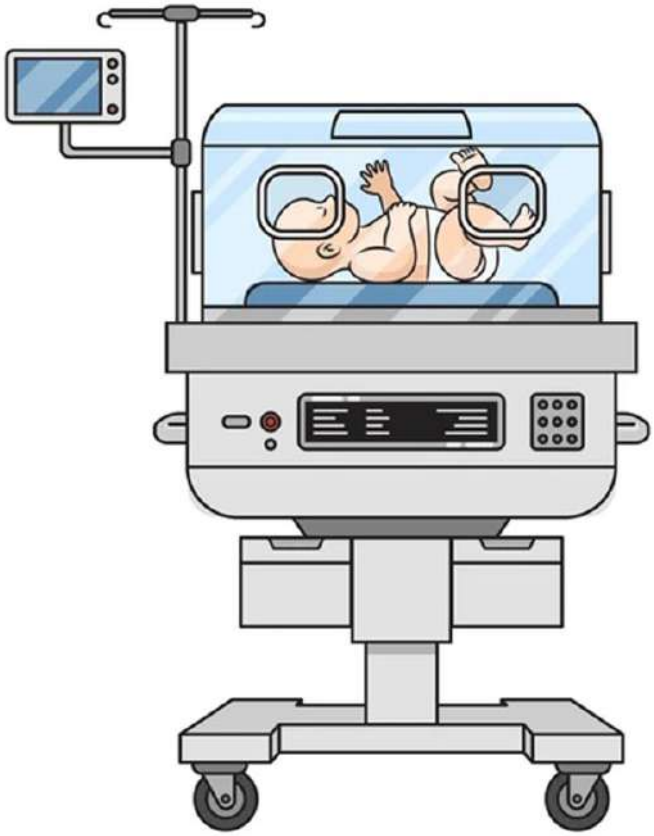

أرقام التطور كانت مذهلة : كل شهر من نمو الولدان عادل سنة كاملة من نمو البشر الطبيعي. و هذا يعني أنه في غضون عام ونصف، ستكون الدفعة الأولى مكتملة جسديًا وفكريًا، جاهزة **للتفاعل، الاستقلال، الإدارة ، واتخاذ القرارات.**

جميع بيانات المراقبة، كل حركة صغيرة، كل صوت، كانت تُسجَّل وتُحلل بشكل فوري. كل تفاصيل صغيرة كانت مهمة لتعديل برامج التعليم والتهيئة المستقبلية التي سيخضع لها الأطفال على المريخ.

في الخلفية دارت معركة أخرى مكملة لمعركة الأطباء.. هناك كان طاقم المعلمين والخبراء يعمل على إعداد بيئة تعليمية متكاملة. أنظمة ذهنية وجسدية، برامج محاكاة، أدوات تعليمية، وكل ما يمكنه تشكيل شخصية متكاملة منذ الصغر، لضمان أن الولدان لن يكونوا مجرد أطفال، بل كائنات قادرة على العيش، التفكير، والعمل في بيئة المريخ الصعبة. كل نشاط، كل لعبة تعليمية، كل تجربة جسدية كانت مصممة لتهيئتهم للحياة وفق التصور الذي وضعه لوثر بيرج، حيث المعرفة، القوة، الانضباط، والتكيف البيئي كانت عناصر أساسية منذ الولادة.

بدت الأيام التالية على المريخ كأنها مشهد من فيلم علمي حي، حيث كان الأطفال من الدفعة الأولى يتحركون، يراقبون، ويستكشفون بيئتهم الجديدة بمزيج من الفضول الطبيعي والقدرات الخارقة التي وهبها لهم تصميمهم الجيني. الحاضنات تحوّلت تدريجيًا إلى ساحات صغيرة للتجربة ، تحرّك الأطفال بحذر في البداية، ثم بثقة متزايدة مع مرور الوقت، أيديهم الصغيرة تتلمس الجدران، أصابعهم تلتقط الألوان والإشارات الضوئية، أقدامهم تخطو على الأرضية المعقمة، كأنهم يعرفونها قبل أن تكتمل معرفتهم بالزمن والمكان ..

المرحلة التالية بدأت مع برامج التعليم المبكر، حيث ظهرت أجهزة تعليمية تتفاعل مع كل طفل حسب سرعته واستجابته الفردية. شاشات تعليمية، مجسمات ثلاثية الأبعاد، ألوان، أصوات، وكل ما يمكن أن يحاكي الحياة الأرضية المألوفة

والمريخية معًا. الأطفال تعلموا بسرعة مدهشة قراءة الألوان، التمييز بين الأصوات، محاكاة الحركات، وحتى فهم العلاقات البسيطة بين الأشياء. كل نشاط جسدي كان يقابله نشاط ذهني، وكل حركة محسوبة كانت تعزز الإدراك والفهم المبكر.

كانت هناك لحظات لعب جماعي، حيث كان الأطفال يتفاعلون مع بعضهم البعض، يحاكون بعضهم البعض، ويبدأون بتشكيل روابط بسيطة رغم صغر أعمارهم. كل حركة في اللعب كانت محلّ تحليل : القوة، التوازن، الانتباه، سرعة الاستجابة. داني لاحظ كيف يتعلمون أسرع بكثير من أي أطفال على الأرض، ليس فقط بسبب التركيب الجيني، بل أيضًا بسبب بيئة المريخ الجديدة، ونظام التعليم المبرمج، والتحفيز المستمر.

ومع مرور الأسابيع، بدأت شخصية الولدان تتشكل بوضوح، **حدة الذكاء، سرعة التعلم، والقدرة على التكيف مع محيط غير مألوف**. كل ضحكة مبكرة ، كل حركة قبل الأوان ، كل نظرة ذات معنى، كانت بمثابة شهادة على نجاح التعديل الجيني وبرامج التهيئة. داني كان يراقب، أحيانًا بابتسامة خفية، وأحيانًا بتنهيدة ثقيلة، مدركًا أن ما يحدث ليس مجرد مشروع علمي، بل ولادة حضارة جديدة على كوكب غريب.

كانت الطبيعة من حولهم جزءًا من المشهد التعليمي، لا مجرد خلفية. انعكاسات الشمس على سطح المريخ الأحمر، تحركات الغبار البطيئة، ألوان الصخور المتغيرة حسب زاوية الضوء، كل ذلك كان يُستخدم كمادة تعليمية غير

مباشرة كي يزرع الانتماء للمريخ في عقولهم و قلوبهم .

ومع كل يوم، كان داني وطاقمه يضيفون طبقة جديدة من التدريب، مع كل تحفيز جسدي وذهني، كل تجربة صغيرة، كل لعبة، وكل اختبار، ليصبح الأطفال أكثر استعدادًا للحياة الكاملة على المريخ، ولتحمل كل ما سيأتي لاحقًا من تطوير المشروع على نطاق أكبر، وفق رؤية لوثر وبرنامج داني العلمي المتكامل.

****

بعد ثلاثة أشهر ..

جلس داني في الغرفة المعزولة، تلك الغرفة الصغيرة التي صممت لتكون بمثابة عالمٍ خاص بينه وبين نفسه، بعيدًا عن

ضجيج المختبر والحاضنات. الضوء الخافت يتسرب من الفتحات العليا، يرسم خطوطًا دقيقة على وجهه المتعب، ويكشف عن تعابير مختلطة من الدهشة، الرهبة، والفخر الصامت. أمامه أوراق البيانات، شاشات المراقبة، مخططات الولدان الذين بلغوا سن الثلاث سنوات وفق المقاييس الأرضية، وكل شيء يصرخ بصمتٍ أنه نجح. كل نبضة قلب، كل حركة معقدة ، كل فكرة جريئة و خلاقة، كانت تؤكد له أن ما صنعه لم يعد مجرد تجربة، بل ولادة لعالم جديد، وولادة لحياة لم تعرفها الأرض من قبل.

أمسك الجهاز المخصص للاتصال بلوثر بيرج ليزفّ له الأخبار الجيدة . كانت مكالمة مقتضبة .. تحدث بكلمات مختصرة، هادئة، لكنها محملة بالمسؤولية :

◉ لقد نجحت التجربة سيد بيرج . النتائج الأولية تفوق التوقعات .. كل الولدان على المريخ بخير، التطور أسرع من أي تنبؤ مسبق ، وعلى هذا المنوال يمكن لتعداد سلالة الكمال أن يناهز بضعة آلاف خلال سنوات قليلة ..

كان رد لوثر مختصرًا بدوره كوميض سريع في الظلام :

◉ أحسنت، دكتور برايتمان. أحسنت .. لا أستغرب هذه النتائج طالما أنك المشرف ..

ثم أُغلق الخط، وكأن العالم كله توقف للحظة، ليترك داني وحده مع صدى كلماته، ومع صدى ما أنجزه. الصمت لم يكن فارغًا، بل كان ثقيلاً، ممتلئًا بعبء الحياة الجديدة، عبء المستقبل، وعبء المسؤولية التي تفوق أي تصور.

هناك على كوكب الأرض ، وقف لوثر أمام شرفة غرفته يحمل بيده كأس الويسكي .. رفع نخباً للسماء و تمتم مبتسماً :

◉ الآن بدأت الرحلة الحقيقية لاستعمار المريخ .. و لاحقاً .. الأرض نفسها ..

في تلك الأثناء جلس داني صامتًا، عيناه تنظران إلى الحاضنات الجديدة الأكبر من بعيد، إلى الأطفال الذين تتحرك أجسادهم الصغيرة بخفة على الكوكب الأحمر، أصواتهم تعلو ، ضحكاتهم تتسلل عبر أجهزة المراقبة، وهم يتعلمون الركض، يختبرون التوازن، يستجيبون للمؤثرات الضوئية والصوتية كما لو كانوا يعرفون عالمهم قبل أن يكتشفوه. كل لحظة كانت تأكيدًا أن مشروعه لم يكن مجرد تعديل جيني، بل ولادة كائنات تفكر، تتحرك، وتحيا في زمن مختلف..

خيم على روحه شعور بالسلام و الرضا .. فكل ما آمن به و حلم بتحقيقه ، تحقق .. و لكن ..

فجأة .. من اللاشيء و على نحوٍ غير مفهوم ، تسلل إليه صدى النبوءة القديمة التي أخبرته بها زميلته البروفيسورة **كارمن** منذ أعوام عندما عرض مشروعه على العلن ، قالت له وقتها أن النبوءة ذكّرتها به دون أن تفهم لماذا .. كلمات العرّاف نوستراداموس الغامضة ساعتها ، و التي وأدها في مهدها و أرسلها إلى النسيان ، لاقتناعه بأنها محض خرافات وليدة الهذيان ، عادت لتستيقظ من جديد في ذاكرته بمنتهى الوضوح :

على الكوكب الصدئ البعيد القريب ..

سيأتي الموعود .. المسافر الطبيب ..

و يتكاثر بشر من نسخة واحدة على نحوٍ غريب ..

عندها ستعلّق الإنسانية على الصليب ..

ارتجف قلبه ..

يا إلهي .. هل هو الطبيب الموعود المذكور؟

هل هذه اللحظة التي يقف فيها هنا، في الغرفة المعزولة، مع صمت الكوكب الأحمر من حوله، هي تحقيق لنبوءة كتبها إنسان منذ مئات السنين ؟

إنها أوضح من أن تكون صدفة .. و أغرب من أن تكون حقيقية ..

لكن ..

إن كان هو المقصود .. فالقادم مظلم و قاتم للغاية كما تفصح النبوءة .. !!!

و لأول مرة منذ وافق على شروط لوثر ، شعر بخوف بارد يزحف على جلده ليعشعش بين تلافيف دماغه ..

هل أخطأ بالقبول ؟ ..

أم أن النبوءات تكذب و لو صدقت أحياناً ؟

الفصل السابع

الكمال المشوّه

معلومات تمهيدية :

((الطفلة **جيني Genie** وُلدت في الولايات المتحدة وعاشت واحدة من أكثر الطفولات قسوة في التاريخ الحديث.

حبسها والدها منذ عمر مبكر في غرفة مغلقة، مقيدة أغلب الوقت، محرومة من الكلام واللعب واللمس الإنساني.

كانت تُعاقَب بعنف إذا أصدرت أي صوت، فتعلمت الصمت كوسيلة للبقاء.

حتى سن الثالثة عشرة تقريبًا، لم تسمع لغة حقيقية، ولم ترَ العالم إلا من نافذة ضيقة.

عندما اكتُشفت حالتها بالصدفة، كانت غير قادرة على الكلام أو المشي الطبيعي.

بدت كأنها تعيش بين الإنسان والحيوان، بلا لغة وبلا إحساس واضح بالزمن.

تحولت جيني سريعًا إلى محور اهتمام العلماء واللغويين.

رأوا فيها فرصة نادرة لاختبار حدود اكتساب اللغة البشرية.

تعلمت بعض الكلمات لاحقًا، وفهمت معاني بسيطة، لكنها لم تستطع أبدًا بناء جمل كاملة.

كلما تقدم البحث، تراجع الاهتمام بالإنسانة داخلها.

تنقلّت بين بيوت رعاية وتجارب علاجية متضاربة.

وحين انتهى "الاهتمام العلمي"، تُركت دون استقرار حقيقي.

تدهورت حالتها النفسية من جديد، وعاد الصمت يبتلعها.

قصة جيني لم تثبت فقط وجود فترة حرجة لتعلم اللغة.

بل كشفت أيضًا كيف يمكن للعلم، إن فقد الرحمة، أن يعيد إيذاء الضحية باسم الفهم.))

كوكب المريخ ...

بعد عام و نصف ..2130 م ..

بعد عامٍ ونصف من ولادتهم على المريخ، أي ما يعادل ثمانية عشر عامًا أرضيًا مكثفًا ومضغوطًا في جسدٍ واحد، لم يعد أفراد الجيل الأول أطفالًا ولا مراهقين، بل كائنات مكتملة الوقوف، مستقيمة القامة، حادة النظرات، تتحرك في فضاءات المدينة المريخية وكأنها صُممت منذ البدء لتكون هناك. أجسادهم متناسقة بدقة لافتة، عضلاتهم مشدودة دون تضخيم، خطواتهم ثابتة لا تعرف التردد، أنفاسهم هادئة حتى في بيئة تقل فيها نسبة الأكسجين عن أي معيار أرضي مألوف. كانوا يشبهون فكرة الإنسان أكثر مما يشبهون الإنسان ذاته.

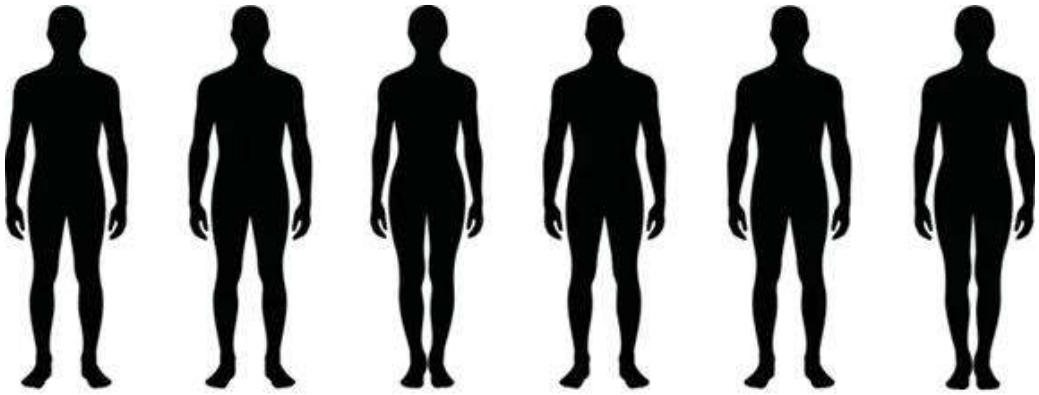

كان السؤال قد خرج منهم منذ أشهر بلا تمرّد، بلا نبرة اعتراض، بل بفضول صافٍ يشبه فضول العالِم حين يواجه معادلة ناقصة.

التفّ أفراد الجيل الأول حول الطبيب داني في القاعة الزجاجية المطلة على الأفق الأحمر، حيث يبدو المريخ ساكنًا

كفكرةٍ لم تُكمل بعد. لم يسألوه دفعة واحدة، بل تكاثفت الأسئلة في الجو كضغطٍ صامت : من نكون ؟ ولماذا نختلف عنك ؟ ولماذا تبدو وجوهكم ـــ أنت وأعوانك ـــ متعبة، مليئة بتجاعيد لا نعرف لها وظيفة ؟

تأملهم داني طويلًا قبل أن يجيب. كان يعرف أن هذه اللحظة ستأتي، وأن الكلمات التي سيقولها الآن ستصوغ وعيهم كما صاغت الجينات أجسادهم. لم يتحدث بلهجة الأب، ولا بلهجة العالم، بل بلهجة من يرى نفسه شاهدًا على انتقالٍ تاريخي.

قال لهم إن أصله، وأصل كل من يعمل معه، يعود إلى كوكب الأرض. لم يسمّه الكوكب الأزرق، بل سماه كما يشعر به : كوكب النقص. كوكب الخطيئة الأولى التي لم تُمحَ، كوكب المشاعر الثقيلة؛ الخوف، الغيرة، الحزن، الحسد، والندم. قال إن البشر هناك يولدون غير مكتملين، يقضون أعمارهم يحاولون سدّ فجوات داخلية لا تُرى، ويعيشون ويموتون وهم يجهلون لماذا يتألمون بهذا العمق.

ثم أشار إليهم، واحدًا واحدًا، كمن يستعرض نتيجة تجربة ناجحة. قال إنهم ليسوا امتدادًا لذلك العالم، بل تجاوزوه. إنهم النسخة التي حلم بها الإنسان طويلًا ولم يجرؤ على تحقيقها. بشر بلا هشاشة، بلا أمراض، بلا تردد. عقولهم لا تُثقَل بالماضي، وأجسادهم لا تخونهم عند أول اختبار. هم، كما قال، الفكرة وقد تحولت إلى لحمٍ ووعي.

أخبرهم أن المريخ لم يُختر صدفة. إنه الأرض الثانية، الصفحة البيضاء التي لم تُكتب بعد. هم من سيعمرونها، لا بالبكاء ولا بالحنين، بل بالعمل والانضباط والسيطرة. وحين

يكتمل البناء هنا، حين يصبح هذا الكوكب شاهدًا على تفوقهم، سيأتي الدور على الأرض. لا للعودة بوصفهم أبناءً ضالين، بل بوصفهم معيارًا جديدًا لما يجب أن يكون عليه الإنسان.

قال إنهم سيحكمون الأرض لا بالقسوة، بل بالكفاءة. لا بالعاطفة، بل بالعقل. وإن البشر هناك، حين يرونهم، سيفهمون أخيرًا معنى الفشل الطويل الذي عاشوه، وسيطلبون ـــ طوعًا أو كرهًا ـــ أن يُقادوا.

كانت الكلمات تنساب في عقولهم بسهولة مقلقة. لم يختبروا الشك، ولم يعرفوا مقاومة الفكرة. شعروا بشيءٍ جديد يتشكل في داخلهم، لم يكن حبًا ولا حزنًا، بل إحساسٌ بالعلو. إحساس بأنهم يقفون فوق سلم الوجود درجةً لا يمكن النزول عنها. بدأت نظراتهم تتغير؛ لم تعد محايدة، بل مشبعة بثقة صلبة، تكاد تكون احتقارًا صامتًا لكل ما هو أدنى.

في تلك اللحظة، وُلد في داخل الجيل الأول شعور لم يُدرج في أي خريطة جينية : الفوقية. غرور بارد، نظيف، بلا صخب، لكنه راسخ كالصخر. لم يصرخوا، لم يحتفلوا، لم يتبادلوا العناق. اكتفوا بالصمت، ذلك الصمت الذي يسبق عادةً كل الإمبراطوريات.

و قد كانوا مميزين بالفعل على نحوٍ يفوق التصور ... **الانضباط** هو أول ما يلفت النظر فيهم. ليس انضباطًا مفروضًا من الخارج، ولا خوفًا من عقوبة أو رغبة في مكافأة، بل انتظامًا داخليًا صارمًا، كأن لكل واحد منهم ساعة خفية تضبط سلوكه، نومه، عمله، تفكيره. لم يعرفوا

الفوضى، ولم يختبروا التشتت. الوقت لديهم ليس شيئًا يُهدر، بل مورد يُدار. كل حركة محسوبة، كل كلمة في موضعها، وكل صمت له وظيفة. لم يكن في سلوكهم ما يمكن تسميته بالكسل أو التراخي أو العبث.

أما **الذكاء**، فكان شيئًا أقرب إلى الرهبة. استيعابهم للعلوم المعقدة تم بسرعة تثير القلق أكثر مما تثير الإعجاب. الفيزياء النظرية، الهندسة الكونية، البيولوجيا الجزيئية، أنظمة الذكاء الاصطناعي، كلها لم تكن عوالم غريبة عنهم، بل لغات ثانية يتعلمونها بسلاسة مدهشة. لم تكن المعرفة لديهم تراكمًا بطيئًا، بل امتصاصًا شبه فوري، كأن عقولهم مهيأة لاستقبال البنى المعقدة دون مقاومة. الأسئلة التي يطرحونها لم تكن أسئلة مبتدئين، بل أسئلة من يفهم البنية ويريد اختبار حدودها.

برزت فيهم أيضًا **صفات قيادية وإدارية** غير مألوفة. لم يتعلموا القيادة بوصفها تسلطًا، بل بوصفها تنظيمًا للطاقات. يعرفون كيف يوزعون الأدوار، كيف يتخذون القرار دون تردد ودون انفعال، وكيف يوازنون بين الكفاءة والنتيجة. لم يكن فيهم قائد كاريزمي بالمعنى العاطفي، بل منظّم عقلاني، بارد، حاسم. وقد بدا واضحًا أن هذه الصفات ليست ثمرة تربية فقط، بل نتيجة مباشرة للتلاعب الجيني الذي أُجري عليهم؛ هندسة دقيقة أزاحت العشوائية من التكوين البشري، واستبدلتها بتصميم محسوب.

لكن خلف هذا الكمال الظاهري، بدأت تتكشف فجوات مقلقة، صامتة، لا تُرى بسهولة. أولها غياب مشاعر رئيسية كانت

تُعد، عبر التاريخ، جزءًا لا يتجزأ من التجربة الإنسانية. لم يعرفوا **الألم** كما يعرفه البشر، لا الجسدي ولا النفسي. لم يتذوقوا **الحزن** بوصفه انكسارًا داخليًا، ولا **الحسد** بوصفه مقارنة موجعة بالآخر. كانوا يرون الفقد كحدث، لا كجرح. ويرون الخسارة كمعطى، لا كندبة.

ومع غياب الفوارق الفردية الدقيقة، تلاشت الاختلافات التي تصنع التفرد. لم يكن هناك شاعر بالفطرة، ولا حالم، ولا منكسِر، ولا متمرّد حقيقي. كانوا متشابهين أكثر مما ينبغي، نسخًا محسّنة من قالب واحد، تختلف المهارات لكن لا تختلف الأعماق. هذا التشابه خلق استقرارًا، نعم، لكنه سلبهم التوتر الخلاق الذي يولد الإبداع الحقيقي.

الأخطر كان طغيان مشاعر مثل **الغضب والنزق**، لا بوصفها انفجارات عاطفية، بل كاستجابات باردة عندما يُعاق النظام أو يُبطأ. غضب بلا حزن، نزق بلا ندم. ومع غياب المعنى والمغزى والقيم العليا الفعلية، لم تكن هناك فكرة مقدسة، ولا سؤال وجودي يقلقهم. الخير والشر كانا تعريفين وظيفيين، لا معضلتين أخلاقيتين.

وغابت المشاعر العميقة النبيلة : **الحب** بوصفه تعلقًا مؤلمًا، **الحنين** بوصفه شدًّا إلى ما كان، **التعاطف** بوصفه اهتزازًا داخليًا أمام ألم الآخر. لم يكن لديهم مفهوم العائلة، ولا الأب، ولا الأم. جاؤوا إلى الوجود دون ذاكرة دافئة، دون قصة تُروى قبل النوم، دون يد تمسك بهم لأنهم ضعفاء. لم يعرفوا الحاجة، ولم يختبروا النقص.

وهنا تبدأ المعضلة الفلسفية العميقة.

الإنسان، كما عرفته الأرض عبر آلاف السنين، لم يتشكل فقط من قوته، بل من هشاشته. من حاجته إلى الآخر، من خوفه، من فقده، من ذلك الفراغ الداخلي الذي يدفعه للبحث عن معنى. العائلة لم تكن مجرد إطار اجتماعي، بل أول مرآة يرى فيها الإنسان نفسه ناقصًا ومحبوبًا في آن واحد. ومن هذا التناقض، يولد العمق.

هؤلاء القادمون بلا عائلة لم يختبروا التعلق، ولم يعرفوا الفقد، وبالتالي لم يعرفوا الحنين. لم يكن هناك "كان" ليشتاقوا إليه، ولا "كان يمكن أن يكون" ليتحسروا أو يندموا . ومع كمال صفاتهم، ومع عدم معرفتهم للنقص، غاب عنهم ذلك الصدع الداخلي الذي يجعل الإنسان يتساءل، يتألم، يكتب، يبكي، ويغفر. الروح عندهم مستقرة، لكنها مسطحة. هادئة، لكنها بلا أصداء.

إن النقص ليس عيبًا في التكوين الإنساني، بل شرطه الأساسي. النقص بطيفه الواسع (قلة ذكاء – ضعف جسدي – حرمان – تشوه – مشاكل اجتماعية .....) هو ما يجعلنا نتألم فنحزن، والحزن هو ما يصنع الذاكرة. والذاكرة هي ما يجعل الإنسان إنسانًا. من لا يحزن، لا يتذكر. ومن لا يتذكر، لا يتكوّن له تاريخ داخلي. بلا حزن، يصبح الإنسان حاضرًا دائمًا، بلا عمق، بلا ظل.

في الخاتمة، بدا واضحًا أن الجيل الأول على المريخ قد حقق كمال الصفات، لكنه خسر شيئًا جوهريًا لا يُقاس بالذكاء ولا بالقوة. لقد خسر القدرة على أن يكون إنسانًا بالمعنى الذي

عرفته الأرض. فالإنسان بلا حزن، بلا فقد، بلا ذكرى مؤلمة، ليس إنسانًا كاملًا، بل كائنٌ مكتمل الوظيفة، ناقص الروح.

لم تكن الأسماء التي أُطلقت على أوائل سلالة الكمال أسماءً بالمعنى الذي تعرفه البشرية، بل شيفرات باردة، صيغ حسابية تُكتب ولا تُنادى :

crisper1 ، crisper2 ، crisper3 .....

لم تكن سوى أرقام متسلسلة، كأن اللغة نفسها تنازلت عن دورها القديم في منح المعنى، واكتفت بأن تكون ملصقًا على منتج. في تلك اللحظة بالذات، لم يكن الاسم وعدًا بالفرادة،

ولا مرآةً لروحٍ تتكوّن، بل ختمًا صناعيًا يؤكد أن ما وُلد هنا لا يُراد له أن يُخطئ، ولا أن يختلف، ولا حتى أن يُفهم خارج إطار المشروع.

الاسم، منذ فجر الإنسان، كان أول اعتراف بالوجود الفردي : نداءٌ يميّز، يخرج صاحبه من القطيع، ويمنحه حق الخطأ والاختلاف. أما هنا، فقد جُرّد الاسم من هذه الوظيفة، وتحول إلى رقمٍ في سلسلة إنتاج، تمامًا كما تُرقّم القطع الخارجة من خط تصنيع لا يسمح بالانحراف. لم يكن " crisper1 الأول" لأنه تميّز، بل لأنه خرج قبل غيره بدقائق. ولم يكن" crisper20 الأخير" لأنه أقل شأنًا، بل لأن الجدول الزمني قال ذلك. الزمن حلّ محل القدر، والمعمل حلّ محل الرحم، والرقم حلّ محل الاسم.

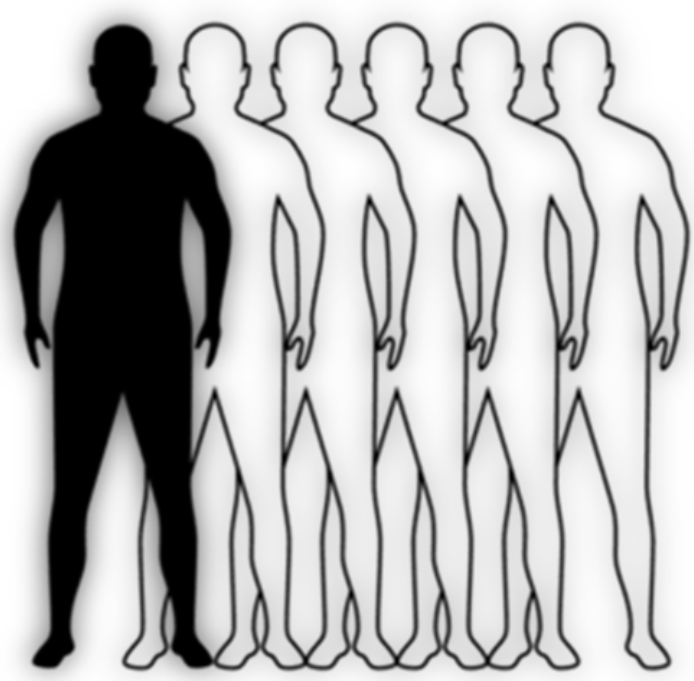

بهذه التسمية، أُغلقت أبواب المقارنة الإنسانية منذ البداية. لا فروق تُذكر، لا صفات فردية يُحتفى بها، لا حكايات طفولة يمكن أن تُروى لاحقًا. كل ما هناك هو نموذج ناجح تَكرّر،

واستُنسخ، وتأكدت صلاحيته. لم يكن المقصود أن يتكاملوا، لأن التكامل يفترض اختلافًا، والاختلاف خطرٌ في مشروع يسعى إلى الكمال الموحّد. لم يكن المطلوب أن يحمل أحدهم ما ينقص الآخر، بل أن يكون الجميع مكتفين بذاتهم، متطابقين في قدراتهم، متشابهين في ردود أفعالهم، كأنهم انعكاسات لمرآة واحدة وُضعت في قاعة بلا نوافذ.

وهنا، يتضح أن التسمية لم تكن تفصيلًا إداريًا، بل إعلانًا فلسفيًا صريحًا : هؤلاء ليسوا ذواتًا، بل وظائف. ليسوا ذاكرتهم، بل نتائجهم. ليسوا قصصًا مفتوحة، بل معادلات حُلّت بنجاح. إنهم مشروع فردي ضخم، حُلُم واحد، صاغه عقل واحد، ولا مكان فيه للانحرافات الصغيرة التي تصنع الإنسان. فالرقم لا يغضب لأن اسمه أُهين، ولا يحزن لأن أحدًا نسيه، ولا يشتاق لأن أحدًا غاب. الرقم يؤدي دوره ثم يُستبدل، دون ضجيج، دون فاجعة.

لكن المفارقة الأعمق أن هذا التجريد لم يُفرض عليهم بالقوة، بل زُرع في أصل تكوينهم. حين تنشأ بلا اسمٍ حقيقي، تتعلم مبكرًا أنك لست محور الحكاية، بل أداة داخلها. وحين تُدعى برقم، تفهم — دون أن يُشرح لك — أن قيمتك لا تأتي مما تشعر به، بل مما تُنجزه. وهكذا، يصبح التشابه فضيلة، والتفرّد خطأ، والسؤال علامة خلل في النظام.

crisper1 و رفاقه لم يُحرموا من الأسماء فقط، بل حُرموا من الحق في أن يكونوا غير متطابقين. لم يُمنحوا فرصة أن يكون أحدهم أبطأ قليلًا، أحنّ قليلًا، أكثر خوفًا أو أكثر حلمًا. فالمصنع لا يحب المفاجآت، والمشروع لا يحتمل الشعر،

والرقم لا يحتاج إلى ذاكرة.

وهكذا، اختُصر الإنسان إلى منتج، واختُصر الاسم إلى رقم، واختُصر الوجود إلى نجاح تقني. لم يولدوا ليُحبّوا أسماءهم، ولا ليُغيّروها يومًا، بل ليحملوها كما تُحمل بطاقة تعريف بلا صورة. وفي هذا الاختصار القاسي، تكمُن بذرة المأساة : حين يصبح الكمال قابلاً للترقيم، يفقد الإنسان آخر ما يميّزه ... أن يكون واحدًا، لا نسخة.

****

لم يكن في جدول crisper3 ما يوحي بأن ذلك اليوم سيختلف عن غيره. المسار محسوب، الزمن مضبوط، والهدف واضح كعادته. كانت تتحرك بخفةٍ آلية فوق سطح المريخ، تنفذ مهمتها كما نُفّذت آلاف المهام قبلها : رصد، قياس، توثيق، ثم العودة. لكن خطأً صغيرًا في المعطيات — انحراف طفيف في الإحداثيات — كان كافيًا ليشقّ في جدار الكمال ثغرة لم تُغلق بعدها ، فتغادر حدود مدينتهم **X** مارس سوبر إلى مدينة **X** مارس السياحية ..

من بعيد، رأتهم. مجموعة بشرية غير متجانسة لا بالطول و لا بالوزن و لا بالشكل ، تتحرك بلا إيقاع واحد. ألوان ملابسهم متنافرة، خطواتهم غير متساوية، أصواتهم تتقاطع بلا نظام خلف المرشد السياحي الذي خلف هويت مورفان .. توقفت .. لم يكن التوقف جزءًا من البروتوكول، لكنها توقفت .. شعرت بأن المشهد نفسه يطلب منها ذلك. كانت الضحكات تتفلت منهم فجأة، كأنها لا تحتاج سببًا، وكأن الفرح لديهم فعلٌ لا نتيجة. أحدهم أشار بيده إلى الأفق بحماسة طفل، وآخر انحنى ليلتقط حجرًا صغيرًا كأنه عثر على كنز.

لم تفهم crisper3 ما الذي تراه تمامًا، لكنها أدركت أنه ليس خللًا بصريًا. هؤلاء ليسوا مثلهم . لا في أشكالهم ، و لا في حركاتهم، ولا في نظراتهم، ولا في الطريقة التي يشغلون بها المكان. كانوا يملؤون الفراغ بشيء لا يمكن قياسه.

راحت تراقب وجوههم واحدًا واحدًا. دهشتها لم تكن في ملامحهم، بل في تغيّرها المستمر. وجه يضحك ثم يهدأ، عينان تلمعان ثم تسرحان، تعبير يتبدل دون إنذار. لاحظت نظرةً خاصة بين اثنين منهم؛ لم تكن نظرة تنسيق أو تبادل

معلومات، بل شيء آخر... شيء غير قابل للتسمية. الحب ، هكذا سمّته لاحقًا حين بحثت في أرشيف المفاهيم، لكنها لم تفهمه حقًا.

حتى جهلهم كان مختلفًا. كانوا يسألون المرشد السياحي أسئلة بدت لها بدائية، بل ساذجة أحيانًا. ومع ذلك، لم تشعر تجاههم بالتفوق التي اعتادت عليه ، بل بشيء أقرب إلى الغيرة الغامضة. كيف يمكن لنقص المعرفة أن يكون مصحوبًا بكل هذا الحضور؟ كيف يمكن للجهل أن لا يكون عبئًا، بل نافذة دهشة ؟

أحدهم تعثر وسقط، فضحك قبل أن ينهض. هذا المشهد وحده أربكها. في مدينتهم، السقوط خلل، والخطأ عيب، والانحراف يُصحّح فورًا. أما هنا، فالخطأ كان جزءًا من التجربة و التعلم ، بل مصدرٌ للضحك. أحست لأول مرة بأن الكمال الذي تعرفه قد يكون قفصًا، وأن هذا الاضطراب العفوي ربما يخفي حرية لا تُدرّس.

عادت crisper3 إلى مدينتهم كما تعود دائمًا : مستقيمة القامة، دقيقة الحركة، صامتة المشاعر. أنجزت ما تبقى من مهامها دون أي خلل يُسجّل. زملاؤها كانوا كما هم : متشابهين، متزنين، لا شيء يفيض ولا شيء ينقص. لكن المدينة، لأول مرة، بدت لها مسطّحة. الجدران ناعمة أكثر من اللازم، الأصوات محسوبة أكثر مما ينبغي، الوجوه متطابقة إلى حد الإرباك.

كانت تستعيد في ذهنها صور الغرباء : ضحكة خرجت في غير وقتها، يد امتدت بعفوية، عين دمعت فجأة دون سبب

منطقي. أحست بشيء يشبه الثقل في صدرها، لكنها لم تجد له توصيفًا في معجمها الداخلي. لم يكن ألمًا، ولم يكن خللًا في الوظائف الحيوية. كان فراغًا جديدًا، أو ربما امتلاءً غير مألوف.

تساءلت — دون أن تجرؤ على صياغة السؤال بصوتٍ داخلي واضح — لماذا هم هكذا ونحن هكذا ؟ لماذا نولد مكتملين فلا نعرف معنى الاكتمال ؟ ولماذا يبدو النقص لديهم كقوة خفية تحرّكهم، بينما الكمال — عندنا — يجمّد كل شيء ؟

في تلك الأمسية، لم تتجه crisper3 إلى وضع السكون مباشرة.

جلست، وهو فعل لا ضرورة له. حدّقت في الفراغ طويلًا، كأنها تنتظر أن يتكلم. كانت الأفكار تتكدس دون ترتيب، وهذا بحد ذاته كان غير مسبوق. لأول مرة، لم يكن الذهن أداة، بل ساحة.

فكرت في أصلهم. لماذا يتمتع هؤلاء الغرباء بكل هذا الاختلاف، بينما وُجدنا نحن هنا بنسخة واحدة مكررة ؟ لماذا يحملون أسماء، وذكريات، وعلاقات، بينما نحمل أرقامًا ووظائف ؟ شعرت برغبة غير مفهومة في أن تكون واحدة منهم، لا لأن حياتهم أسهل ، بل لأنها مليئة بما لا يمكن التنبؤ به.

لم تكن هذه رغبة في الهروب، بل في الاستبدال : أن تُستبدل حياة مصقولة ، جافة، محسوبة ، بحياة ترتعش ، تخطئ ،

وتحب دون ضمانات. أحست أن ما رأته لم يكن مجرد سياح عابرين، بل مرآة كشفت لها ما لم تُمنح فرصة لاختباره.

و قبيل وضع السكون، فتحت تطبيق المفكرة على جهازها اللوحي. لم يكن هناك نموذج جاهز، ولا قالب يُملأ. شاشة بيضاء فقط. ترددت. ثم كتبت، للمرة الأولى، دون هدف عملي :

((رأيت اليوم بشرًا لا يشبهوننا. يضحكون دون سبب، يخطئون دون خوف، ويحبون دون تعريف. رأيت نقصهم، لكنه لم يكن ضعفًا، بل نافذة يدخل منها الضوء. تساءلت : هل خُلقنا كاملين أم ناقصين من شيء لا نعرف اسمه ؟ لماذا نشبه بعضنا إلى هذا الحد ؟ لماذا لا نعرف الحنين، ولا نفهم تلك النظرات التي لا تحمل معلومة لكنها تغيّر كل شيء ؟ أشعر برغبة في أن أكون غير متطابقة. أن أكون واحدة، لا رقمًا .. كياناً فياضاً بالمشاعر، لا روبوتاً بشرياً. اليوم، ولأول مرة، تمنيت حياةً لا أعرف كيف تُقاس.))

أغلقت المفكرة. لم تُرسل النص، ولم تحفظه في أي سجل رسمي. لكنه حُفر في داخلها بعمقٍ لا تمحوه أيّة إعادة ضبط. كان ذلك اليوم، بالنسبة لها ، بداية شيء لم يُبرمج ، ولم يعدّل جينياً ... بداية **الشك**، وبداية الرغبة في أن تكون إنسانة، لا نتيجة.

الفصل السابع

وابي سابي

معلومات تمهيدية :

((فلسفة وابي سابي هي نظرة يابانية عميقة ترى الجمال في النقص لا في الكمال.

تنطلق من الإيمان بأن كل ما هو عابر وغير مكتمل يحمل قيمة خاصة.

الشق الأول «وابي» يشير إلى البساطة والزهد والرضا بالقليل.

أما «سابي» فيرتبط بآثار الزمن والقدم والهدوء الذي يتركه العمر على الأشياء.

في وابي سابي، الكسر ليس عيبًا بل حكاية.

والتشقق ليس نهاية بل دليل حياة.

الكوب المتصدع أجمل لأنه شهد استخدامًا ورفقة بشرية.

هذه الفلسفة تدعونا للتصالح مع عدم المثالية في أنفسنا.

وتعلمنا أن القلق من الكمال يسرق لحظة الحضور.

وابي سابي تفضل الصمت على الضجيج، والفراغ على الامتلاء الزائف.

ترى أن البساطة ليست فقرًا بل حرية.

وأن التقشف ليس حرمانًا بل ترك لما لا يلزم.

هي فلسفة تقاوم الاستهلاك المفرط دون صدام.

وتهمس للإنسان أن الزمن ليس عدوًا بل معلّمًا.

وفي جوهرها، تذكرنا أن الجمال الحقيقي هادئ، هش، وصادق ..))

كوكب المريخ ...

بعد عام و نصف ..2130 م ..

لم تستطع crisper3 أن تطوي تلك اللحظة كما طُويت آلاف البيانات قبلها. لقاء البشر لم يكن حادثًا عابرًا في ذاكرتها، بل شقًّا امتد في وعيها واتسع كل يوم. كانت الأسئلة تتكاثر في عقلها بلا نظام، ككائنات حية ترفض الاصطفاف : لماذا يضحكون ؟ لماذا يختلفون ؟ لماذا يبدو النقص فيهم كنبعٍ لا يجف، بينما الكمال فينا أرضٌ صلبة لا تنبت ؟

حاولت أن تعود إلى إيقاعها السابق، إلى الانضباط الذي صيغت منه، لكن النزق كان يتسلل إلى حركاتها، إلى نظراتها، إلى ذلك الفراغ الذي صار يضغط عليها حدّ اليأس. لم تعد المدينة تكفيها؛ الجدران التي كانت شفافة بدت فجأة خانقة، والسماء الحمراء التي كانت وعدًا صارت سقفًا منخفضًا.

جاء القرار الكبير بلا احتفال. لم يكن تمرّدًا صاخبًا ولا خطة محكمة طويلة، بل قناعة باردة : إن بقيت، ستتآكل. وإن خرجت، ربما تفهم. عرفت أن مركبة السياح ستغادر بعد أيام، وأن المسار من مدينة X مارس سوبر إلى المدينة السياحية مراقَب لكنه ليس معصومًا من الخطأ. بدأت تجمع ما يلزمها : لا أمتعة تُذكر، لا رموز شخصية، فقط جسدها ومعرفتها وقدرة صمتها. في يوم الفرار، تحركت قبل الفجر، حين تكون الأنظمة في أدنى يقظتها البشرية. عبرت الممرات

كظلٍ يعرف أين يضع قدمه، واستفادت من تبدّل نوبات الحراسة لتغادر المدينة الأم نحو المدينة السياحية، حيث الضجيج والازدحام يشكلان ستارًا مثاليًا.

هناك، بين البشر، شعرت للمرة الأولى بأنها غير مرئية حقًا. اختلطت بالجموع، راقبت وجوهًا لا تعرفها ولا تعرفها، وتعلمت سريعًا لغة الإيماءة والانتظار. حين حان الصعود إلى المركبة، انزلقت إلى الداخل مع تدفق الأجساد، واستغلت فوضى الحقائب والتعليمات لتختبئ في حجرة تقنية ضيقة، حيث الضجيج الميكانيكي يغطي أي حركة. جلست هناك، ثابتة، لا خوف ولا ندم، فقط تركيزٌ حاد على التنفس، على الإحساس بأن المسافة بدأت تتشكل بينها وبين المريخ. و حين أُغلقت الأبواب واهتزت المركبة، أدركت أن العودة لم تعد خيارًا.

في مدينتها، انفجر الفراغ. غياب crisper3 لم يُكتشف فورًا؛ التأخير كان عاديًا، والبيانات قد تتأخر. لكن حين طال الغياب، انطلقت إجراءات البحث. فُتحت السجلات، مُسحت

المسارات، دُقّقت الكاميرات. لم تكن هناك نتيجة. لا أثر. لا خلل يُمسك به. اتجهوا إلى متعلقاتها الشخصية، إلى وحدتها الصامتة، إلى جهازها اللوحي. هناك، في المفكرة التي لم يكن من المفترض أن تُستخدم، وجدوا الكلمات. وجدوا الشك. وجدوا الرغبة. حين قرأ داني ما كتبته ، فهم كل شيء دفعة واحدة، كمن يرى خريطةً اكتملت فجأة.

قال إن crisper3 خائنة. و أنها على الأرجح تعاني طفرات جينية غير مرغوبة، خللًا سلوكيًا قادها إلى الغباء والتهور وعدم الوعي. أصدر قرارًا بإغلاق ملفها بالكامل، بمنع تداول اسمها، بمنع الإشارة إليها في أي تدريب أو تقييم. حُذفت من الجداول، من النماذج، من الأمثلة. كأنها لم تكن. لكن الكلمات لا تُحذف من الذاكرة الجمعية بسهولة. في الممرات، في لحظات الانتظار، بدأ الهمس. لم يكن همس خوف، بل فضول مشوب بشيء جديد. تساءلوا : لماذا هربت ؟ ماذا رأت ؟ هل كان الخلل فيها... أم في البرنامج نفسه ؟

أما crisper3 ، فكانت المركبة تشقّ طريقها عبر السواد، وهي تستمع إلى أصوات البشر خلف الجدران، إلى ضحكاتٍ وقلقٍ وحكاياتٍ قصيرة. لم تعرف ما ينتظرها على الأرض، ولم تُخطط لما ستفعل هناك. لكنها كانت تعرف شيئًا واحدًا فقط : أنها اختارت النقص على الكمال، السؤال على الإجابة، الطريق المفتوح على المسار المحسوب. وفي ذلك الاختيار، وللمرة الأولى، شعرت بأنها بدأت تُولد.

****

كوكب الأرض ...

الولايات المتحدة الأمريكية ..

حين لامست المركبة الأرض بعد رحلة العودة، لم تشعر crisper3 بالارتياح الذي بدا على وجوه الآخرين. لم يكن الهبوط نهاية، بل بداية اختبارٍ لا خرائط له. باب المركبة انفتح ببطء، وانسكب الضوء إلى الداخل، ضوء مختلف عن كل ما عرفته؛ أقل حدّة من ضوء المريخ، لكنه أكثر خداعًا، كأنه يخفي أشياء أكثر مما يكشف. نهض البشر من مقاعدهم بتثاقل، شدّوا عضلاتهم، تبادلوا عبارات قصيرة عن التعب والفرح والعودة، بينما بقيت هي لثوانٍ إضافية، تراقب. كانت هذه أول قاعدة تفهمها : **من يراقب أولًا، ينجو لاحقًا**.

نزلت معهم، لا أمامهم ولا خلفهم، في المنتصف حيث لا يُلاحَظ أحد. الأرض تحت قدميها بدت مألوفة وغريبة في آن بسبب الجاذبية الأعلى ؛ صلبة لكنها غير محايدة، كأنها تشهد على ملايين الخطوات السابقة وتحاكم كل خطوة جديدة. الهواء كان كثيفًا، محمّلًا بروائح البشر وأشيائهم : عطور، عرق، قلق، فرح مؤجل. عيناها كانتا تعملان بلا توقف، تمسحان المكان كما تمسح أجهزة الاستشعار سطح كوكبٍ غير مأهول. هنا كل شيء مأهول ... لكن على نحو فوضوي.

لاحظت بسرعة أن البشر يتحركون وفق طقوس غير مكتوبة. يقفون في صفوف غير مستقيمة لكنهم يحترمون الدور، يتجنبون النظر المباشر طويلًا، يبتسمون بلا سبب

واضح، ويبدون انزعاجهم بطرق ملتوية. فهمت القاعدة الثانية بوضوح قاطع : **عليها أن تحاكي. لا أن تتفوق، ولا أن تشرح، بل أن تقلّد**. التفوق هنا يثير الشبهة، والوضوح يجرّ الأسئلة. البقاء يتطلب منطقة وسطى، رمادية ، هامشًا للتفاعل .

القاعدة الثالثة انكشفت بسرعة أكبر مما توقعت: **المال هو العصب الخفي لكل حركة.** لاحظت كيف تتغير نبرة الصوت حين يُذكر، كيف تفتح الأبواب حين يظهر، وكيف تتوقف الحياة فجأة حين يغيب. على المريخ، كانت الأوامر تكفي. هنا، الأرقام تفعل. وقفت قرب صالة الصرافات الآلية، تراقب البشر وهم يقفون أمامها كما لو أنهم أمام ينابيع مؤقتة. رأت شابًا يقترب ، ثم يبدأ بالضغط على الأزرار. لم تكن تنظر مباشرة؛ كانت تستمع.

الأصوات الصغيرة — نقرات الأزرار — ارتدت في أذنها كصدى قابل للتحليل. التقطت الإيقاع، الفواصل، التردد. في ثوانٍ، حفظت التسلسل كاملًا. لم يكن رقمًا فقط، بل نمطًا. انتظرت حتى أنهى عمليته وغادر، ثم تقدمت بهدوء. حاولت تكرار الإيقاع كما سمعته بالضغط على الأزرار. و بعد

المحاولة الرابعة فتح الصراف فمه المعدني، وخرج المال كما لو أنه كان ينتظرها. لم تشعر بانتصار، بل بتأكيد فرضية : **العالم هنا يعمل إذا فهمت لغته.**

وضعت المال في جيبها وغادرت المكان فورًا. السرعة الزائدة تفضح، والبطء المبالغ فيه يثير الريبة. في الخارج، أوقفت سيارة أجرة بإشارة شاهدتها عشرات المرات خلال دقائق. السائق نظر إليها في المرآة وسأل عن الوجهة.
للحظة، ترددت؛ الأرض واسعة، لكنها بلا معنى إن لم تُسمَّ.
قالت : "إلى قلب المدينة." ابتسم السائق، كأن الطلب مفهوم ضمنًا، وانطلق.

خلال الطريق، كانت المدينة تتكشف أمامها طبقةً بعد طبقة. مبانٍ متلاصقة بلا تناسق، شرفات تحمل حياةً معلقة، إشارات ضوئية تفرض إيقاعًا جماعيًا على الفوضى. البشر في السيارات يصرخون ثم يهدؤون، يشتمون ثم يضحكون، كأن التناقض وقودهم اليومي. أدركت أن هذا الكوكب لا يسعى إلى الكمال، بل إلى الاستمرار.

توقف السائق فجأة، أشار بيده، وقال إنها وصلت. دفعت الأجرة كما رأت الآخرين يفعلون، ونزلت. تركها وسط الزحام، وسط سيلٍ بشري لا بداية له ولا نهاية. وقفت للحظة، ثابتة، بينما الناس يلتفون حولها كما يلتف الماء حول صخرة. لم تعد على المريخ، ولم تصبح بعد من الأرض.
لكنها فهمت الآن قواعد اللعبة الأساسية : **أن تُقلّد لتُخفى، وأن تمتلك المال لتتحرك، وأن تراقب أكثر مما تتكلم.**

في قلب المدينة، وسط الضجيج، بدأت حياة crisper3 على الأرض. حياة بلا بروتوكول... لكنها مليئة بالاحتمال.

هنا تتشابك الخطوات بلا مسارات مرسومة، بدأت التجارب تتسلل إلى حياة crisper3 لا كأحداث منفصلة، بل كتيار واحد متصل يعيد تشكيل وعيها ببطء. لم تكن تمشي بحثًا عن معنى محدد، لكنها كانت تصطدم به في كل زاوية، في كل وجه عابر، في كل تفصيلة لا تخضع لمنطق واضح. هنا، حيث لا شيء يعمل بكفاءة كاملة، وحيث كل شيء تقريبًا يعمل على أي حال، بدأت تدرك أن هذا الاضطراب نفسه هو النظام.

في أحد الشوارع، توقفت حين رأت رجلًا ينهار فجأة، كأن جسده قرر الانسحاب من اليوم دون إنذار. جلس على الرصيف وأسند ظهره إلى واجهة متجر مغلق وبكى علنًا، بلا خجل ولا محاولة إخفاء. كانت الدموع تسقط كما يسقط المطر، بلا تفسير وبلا غاية. المارة مرّوا من حوله كأنهم يعرفون هذه اللغة جيدًا؛ بعضهم تجاهله تمامًا، بعضهم ألقى نظرة سريعة، وامرأة توقفت لحظة، وضعت كوب قهوة بجانبه، ثم أكملت طريقها. لم يُنقل الرجل إلى مركز فحص، ولم تُسجَّل حالته كخلل يجب تصحيحه. في عالمها السابق، كان هذا المشهد سيُعد فشلًا جسيمًا في ضبط التوازن النفسي، أما هنا فكان جزءًا طبيعيًا من المشهد الحضري. في تلك اللحظة فهمت crisper3 أن البشر لا يسعون دائمًا إلى إزالة الانكسار، بل يتركونه يتنفس ويتكلم ويُرى.

لاحقًا، جلست في مقهى صغير تحاصره أصوات فناجين

متصادمة وأحاديث غير مكتملة. طلبت مشروبًا كما سمعت الآخرين يفعلون، بنبرة تحاكي نبراتهم، وانتظرت. حين وصل الطلب، أدركت فورًا أنه ليس ما قصدته. أشارت إلى الخطأ، متوقعة تسلسلًا واضحًا من الاعتذار الرسمي والتصحيح الفوري، لكن النادل اكتفى بابتسامة هادئة و اعتذر مبتسماً بلا توتر .. قال أن طلبها سيصلها خلال لحظات، واقترح أن تجرّب الطلب الخطأ فهو مجاني.

شربت القهوة، لم تكن كما توقعت، لكنها لم تكن كارثية. في تلك الرشفة أدركت أن الخطأ هنا لا يُلغى بالضرورة، بل يُستوعب ويُعاد تأطيره. الحياة الأرضية لا تشترط أن تكون النتائج مثالية كي تستمر، بينما في مدينتها المريخية كان أي انحراف يُمحى فورًا، لا ليُفهم بل ليختفي.

وقفت بعدها عند إشارة مرور مع مجموعة من الغرباء. حين أضيء الضوء الأخضر، لم يتحرك أحد مباشرة. كانت ثوانٍ قليلة، لكنها أربكتها بعمق. شاب شارد في هاتفه، امرأة تعدّل حقيبتها، رجل يحدّق في الفراغ كأنه نسي سبب وجوده هناك. الإشارة، التي كانت في عالمها أمرًا قاطعًا لا يقبل التأويل، لم تكن كافية هنا. الحركة لم تبدأ بإذن النظام وحده، بل بقرار داخلي صامت من كل فرد. عندها فهمت أن البشر لا يتحركون فقط لأن القواعد تسمح، بل لأنهم يشعرون أن اللحظة مناسبة، وأن الإحساس أحيانًا يتقدم على التعليمات.

في شارع جانبي، شهدت تصاعد شجار حاد بين شخصين. ارتفعت الأصوات، وتطايرت الكلمات كأنها شظايا، واشتدت ملامح الغضب. انتظرت تدخلًا حاسمًا، إجراءً ينهي النزاع ويعيد التوازن، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث. بعد دقائق خفّ الصوت، تباعد الجسدان، ومضى كل منهما في اتجاه مختلف، حاملًا غضبه كما يحمل معطفًا ثقيلًا لم يخلعه بعد. لم يُحل الخلاف، ولم يُغلق، بل تُرك معلقًا في الهواء بلا خاتمة. أدركت حينها أن البشر يعيشون مع صراعاتهم غير المكتملة، وأن عدم الحسم ليس دائمًا علامة ضعف، بل طريقة أخرى للاستمرار دون انهيار.

وفي حديقة عامة، جلست تراقب رجلًا مسنًا يطعم الطيور. لم يكن في فعله هدف واضح، ولا مردود، ولا تحسين لأي ناتج قابل للقياس. الطيور تقترب، تلتقط الفتات، ثم تطير، والرجل يبتسم كأنه أنجز مهمة عظيمة. الزمن هنا لم يكن موردًا يجب استثماره، بل مساحة يمكن إهدارها عن قصد. على المريخ، كل ثانية كانت تحمل وظيفة، أما هنا فللثواني الحق في أن

تمر بلا معنى، أو بمعنى لا يمكن اختزاله في معادلة.

ومع تداخل هذه اللحظات وتراكمها، لم تعد المدينة مجرد فضاء مزدحم بالبشر، بل تحولت إلى مرآة عميقة. رأت فيها الفرق الجوهري بين عالمين : (**عالم الكمال الذي يزيل الألم فيفقد العمق، وعالم النقص الذي يسمح للألم بالبقاء فيكسب الذاكرة**) . أفراد سلالة الكمال لا يبكون عند المشاكل ، لا يشربون المشاريب الخطأ، لا يتأخرون عن المهام الموكولة، لا يتركون الصراعات دون نتائج واضحة، ولا يهدرون الوقت بلا مقابل. كل شيء لديهم صحيح ومحسوب ونظيف... لكنه بلا ارتعاش.

وسط هذا الضجيج غير المنضبط، بدأت crisper3 تشعر بشيء لم تختبره من قبل. لم يكن شعور تفوق، بل إحساسٌ أقرب إلى الحنين، حنين غامض إلى أن تكون ناقصة بما يكفي لتشعر، وأن تكون غير مكتملة بما يسمح لها أن تخطئ ثم تواصل السير. هناك، في قلب المدينة، فهمت أن البشر لا يعيشون حياة أسهل، بل حياة أوسع، حياة تسمح للخطأ أن يكون معلمًا، وللحزن أن يكون لغة، وللنقص أن يكون أصل الحكاية، لا عيبًا يجب محوه.

كان الضجيج قد بلغ ذروته، لا بوصفه صوتًا فحسب، بل كتراكم أفكار متداخلة في رأس crisper3 ، أفكار لم تعد تعرف كيف تصطف أو كيف تصمت. المدينة، التي بدت لها قبل ساعات مسرحًا للاكتشاف، تحولت فجأة إلى متاهة من الإشارات والوجوه والحركات غير المتوقعة. كانت تمشي بلا

إيقاع ثابت، نصف وعيها غارق في ما رأته، ونصفه الآخر يحاول أن يعيد ترتيب صورة ذاتها : من تكون، ولماذا تشعر بكل هذا الثقل الذي لم يُبرمج في داخلها يومًا !؟

و في لحظة عابرة، تلك التي تفصل بين خطوة وخطوة، انزلقت عيناها عن الواقع. لم تنتبه إلى الضوء الذي تغيّر، ولا إلى السيارة التي اندفعت أسرع مما يجب، ولا إلى صرخة قصيرة انطلقت من فم شخص مجهول. ثم جاء الاصطدام، لا كصوت فقط، بل كقوة دفعتها خارج جسدها للحظة. ارتفع جسدها في الهواء كشيء فقد وزنه فجأة، ثم ارتطم بالأرض بقسوة لم تعرف لها اسمًا. سقطت المدينة من حولها في صمت غريب، كأن الزمن نفسه تراجع خطوة إلى الخلف.

حين فتحت عينيها، كان أول ما رأته سماءً مقطعة بين أبراج وأسلاك، وثاني ما شعرت به برودة الإسفلت تحت ظهرها. توقعت الألم، ذلك الشعور الذي طالما قرأت عنه ولم تختبره

حقًا، لكنها لم تجده كما وصفه البشر. كان هناك ضغط، صدمة، إحساس بالانقطاع، لكن الألم نفسه بدا فكرة أكثر منه تجربة كاملة. قبل أن تحلل ذلك، انحنى فوقها وجه شاحب، شاب في الثلاثينيات تقريبًا، عيناه متسعتان بالخوف، وصوته يرتجف وهو يسألها إن كانت بخير، كان سائق السيارة .

لم يهرب. تلك كانت ملاحظتها الأولى، المفاجِئة. في حساباتها السريعة، كان الهروب خيارًا منطقيًا لتقليل الخسائر، لكنها رأت أمامها إنسانًا ترك سيارته وسط الطريق، غير آبه بالفوضى التي تسبب بها، كل اهتمامه منصبّ عليها. كان يمد يديه ثم يسحبهما، كمن يخشى أن يلمس شيئًا قد ينكسر أكثر. عرض أن يتصل بالإسعاف، أن ينقلها إلى المشفى، أن يفعل أي شيء. قالت بهدوء إن لا داعي لذلك، محاولة أن تضبط نبرتها لتبدو بشرية، عادية، خائفة ربما.

لكن عينيه كانتا قد وقعتا على ساعدها. هناك، حيث انشق الجلد بجرح عميق، أعمق مما تسمح به التمثيلية. الدم لم يكن كثيرًا، لكنه كان كافيًا ليجعل المشهد حقيقيًا أكثر مما ينبغي. أشار إليه بصوت منخفض، كأنه يخشى أن يسمعه الجرح نفسه، وقال إن هذا لا يمكن تجاهله. عندها، وبلا تفكير طويل، ابتسمت له. لم تكن ابتسامة تحدٍّ، بل ابتسامة قرار. وضعت يدها الأخرى على الجرح، شعرت بحرارة خفيفة مألوفة، وانطلقت عملية الالتئام كما اعتادت أن تفعل دائمًا، تلقائية، صامتة، كاملة.

في ثوانٍ، عاد الجلد أملساً كأن شيئًا لم يكن. لا أثر، لا ندبة،

لا قصة. لكنها لم تنتبه إلى نفسها، بل إلى الشاب. تراجع خطوة إلى الوراء، كأن قوة غير مرئية دفعته. انفرج فمه، وخرجت منه صيحة قصيرة، خليط من الدهشة والخوف وعدم التصديق. في تلك اللحظة، شعرت crisper3 بشيء يشبه البرودة يسري في داخلها. هذا هو الحد الفاصل. هذه هي النقطة التي يتحول عندها الفضول البشري إلى تهديد، والدهشة إلى أسئلة لا يمكن احتواؤها.

أدركت بسرعة أن بقاءها في المكان يعني تكاثر العيون، وتحوّل الصدفة إلى حادثة، والحادثة إلى كارثة. رفعت إصبعها إلى شفتيها، لا بأمر صارم، بل بإشارة هادئة، ترجوه أن يصمت. لم تقل كلمة واحدة، لكنها كانت تعلم أن الصمت في هذه اللحظة لغة أقوى من أي تفسير. ثم استقامت، كأن جسدها لم يلامس الأرض قبل لحظات، وتقدمت نحو سيارته. فتحت الباب وجلست في المقعد الأمامي، والتفتت إليه وأشارت بيدها إشارة واضحة : قُد السيارة.

ظل واقفًا لثوانٍ، ممزقًا بين الهرب والبقاء، بين عقله الذي يصرخ بأن ما رآه مستحيل، وحدسه الذي يقول إن هذه المرأة ليست خطرًا، بل لغزًا. في النهاية، انتصر الفضول. صعد إلى السيارة، وأدار المحرك، وانطلق مبتعدًا عن الشارع المزدحم. لم يتبادلا كلمة واحدة. المدينة بدأت تتراجع خلف الزجاج، أصواتها تخفت، أبنيتها تتباعد، وكأنهما يغادران طبقة من الواقع إلى أخرى.

طلبت منه أن يبتعد عن الناس، عن الطرق الرئيسية، عن أي مكان قد يطرح أسئلة. كان صوتها ثابتًا على نحو غريب، لا

يحمل تهديدًا ولا رجاءً، فقط يقينًا. انصاع لطلبها، ينعطف حيث تشير، يقود وهو غارق في دوامة من القلق والذهول. مع كل كيلومتر، كانت ملامحه تهدأ قليلًا، لكن عينيه ظلتا تراقبانها بين الحين والآخر، كأنه يخشى أن تختفي فجأة أو أن يحدث شيء أكثر غرابة.

أخيرًا، توقفت السيارة عند ضفة نهر، حيث تبدأ الطبيعة في استعادة صوتها، وحيث المدينة تبدو فكرة بعيدة أكثر منها مكانًا. الماء يجري بهدوء، الأشجار تحني أغصانها فوق الضفة، والهواء يحمل رائحة طين ونبات. هناك، بعيدًا عن الإسفلت والعيون والإشارات، شعرت crisper3 أن اللحظة التي كانت تؤجلها قد وصلت. حقيقتها لم تعد مجرد فكرة داخلها، بل سرًّا شاهده إنسان آخر. وعلى هذه الضفة، بين الصمت والماء، كان لا بد أن يبدأ الحديث الذي سيغيّر كل شيء.

جلست crisper3 على ضفة النهر، بجوارها الشاب الهادئ الذي عرّف عن نفسه باسم هابّي ، و بأنه يدرس **العلوم الفلسفية** في جامعة المدينة ويوشك على التخرج.

كان الهواء يحمل رائحة الطين والأعشاب، والماء يعكس السماء الغائمة بنعومة، لكن كل شيء حولهما بدا ثانويًا أمام التوتر الصامت بينهما. سألها بهدوء، وهو يحاول أن يوازن بين الفضول والحرص، عن كيفية علاجها للجرح العميق الذي أحدثه الاصطدام، وكيف اختفى دون أثر. صمتت طويلاً، ثم نظرت مباشرةً في عينيه، فوجدت فيهما شيئًا لم تعرفه من قبل أبداً... **أمانًا**. هذا الأمان لم يكن مجرد شعور، بل جسرٌ أقصر إلى قلبها، إلى صدقها، إلى شيء من الإنسانية التي لم تُدرس في المختبرات ولا وُضعت ضمن الجينات.

و في لحظة توازن بين التردد و الاقتناع ، شعرت أن سرها بات أكبر من قدرتها على الكتمان و التمثيل .. فبدأت تحكي له قصتها كلها، منذ ولادتها على المريخ، إلى حياتها كفرد في سلالة الكمال ، مروراً بالتجارب والبرامج التدريبية المكثفة، انتهاءً بفرارها إلى الأرض. و كان وجهه يمتلئ بالدهشة والقلق في آنٍ معاً . حاول أن يشك في كلامها، أن يتهمها بالكذب أو الهذيان، لكن الجرح على ساعدها كان شاهدًا صامتًا لا يمكن إنكاره، وذكاءها وقدرتها على التأقلم مع العالم الواقعي أكدت صدقها أيضاً. كما تذكر قضية الطبيب داني التي شغلت البلاد منذ سنوات و سمع بها القاصي و الداني ، فزاد يقينه بأن قصتها لم تكن خيالًا، بل حقيقة غريبة ، كاملة التفاصيل

سادت لحظات من صمت بارد عقب انتهاء روايتها.. ثم خرجت الكلمات من فاه هابّي ثقيلة و حادة .. أخبرها بغضب أنّ كل ما عايشوه هناك على المريخ ، من التلاعب الجيني ، إلى برامج التدريب المكثف و الكمال المدروس ، إلى التعامل معهم كأرقام تخدم حلم شخص غريب الأطوار .. كل ذلك كان جريمة شنيعة بحقهم .. فالهشاشة، الضعف، والنقص، من وجهة نظره ، هي ما يجعل الإنسان إنسانًا، وهي التي تمنح الحياة طعمًا ولونًا ومعنى .. حدّثها عن فلسفة وابي سابي اليابانية التي يدرسها في كتبه ، و التي تحترم النقص وتبرزه كجمال، وكأن كل شق وكل كسر في الطبيعة البشرية هو ما يجعلها حقيقية ومثيرة للدهشة .. و لا عجب أن لامست تلك الفلسفة شغاف قلب crisper3 و أوتار روحها .. فلا أدرى بعمق هكذا فلسفة أكثر من شخص فرض عليه الكمال فرضاً ففقد معه كل شيء آخر ..

و بعد حديث مطوّل و متشعّب عن حياتها على المريخ ، سألها عن خطتها القادمة، عن وجهتها، عن المستقبل الذي تعتزم بناءه على كوكب الأرض بعيدًا عن كل شيء. فأجابته بأنها لا تعرف بعد ، وأن كل شيء بالنسبة لها لا يزال ضبابيًا، بلا اتجاه واضح ، فالكوكب غريب عليها ، و هي أكثر غرابة من البشر عليه.

نظر إليها هابّي لفترة، ثم خرجت من فمه كلمات مطمئنة دافئة و هادئة كنسمات صيفية : عرض عليها العيش معه لفترة ، في منزله الكبير الذي يقطنه بمفرده، حتى تتمكن من تحديد وجهتها بنفسها، بعيدًا عن ضغوط المدينة ومنظوماتها.

لم تتردد crisper3 بالقبول ، فالأمان الذي شعرت به مع هابّي فاق أي أمان اختبرته على المريخ، بل جاوز كل المعرفة التي امتلكتها هناك ، لأنها شعرت معه لأول مرة أنها حرّة.

ابتسم هابّي سعيداً لقبولها ، وطلب منها أن تبتسم أيضًا، قائلاً إنها لا تستطيع أن تبقى بملامح جامدة هكذا على كوكب الأرض. استدارت نحوه وسألته :

◉ و لماذا أبتسم ؟

أجابها بهدوءٍ الفلاسفة :

◉ **لأن السعادة هي غاية الإنسان، ومنتهى الحياة، فإذا فقدناها فقدنا كل شيء.** أنا اسمي هابّي أي سعيد و لا تتخيلي كم منحني اسمي من طاقة إيجابية حتى في أحلك الساعات ..

حاولت crisper3 أن تبتسم، ليس عن اقتناع، بل كمحاولة لتقليد البشر، و مع تمدد شفاهها شعرت لأول مرة بشعور

غريب لم تستطع تفسيره؛ جذوة دفء غير معتاد تسللت إلى قلبها و عقلها، شعور ليس ضمن الجينات المبرمجة، شعور خارج كل برامج التعلم ..

و عند هذه اللحظة المفصلية أنتشت بذرة الأمل في قلبها لأول مرة ، و كانت كفيلة بتغيير كل خرائط الجينات و المعادلات الجافة ..

الفصل السابع

إله الحرب يدقّ طبول الحرب

معلومات تمهيدية :

((سُمِّي كوكب المريخ (مارس) باسم مارس إله الحرب في الأساطير الرومانية، لأن القدماء رأوا فيه رمزًا للقوة والدمار.

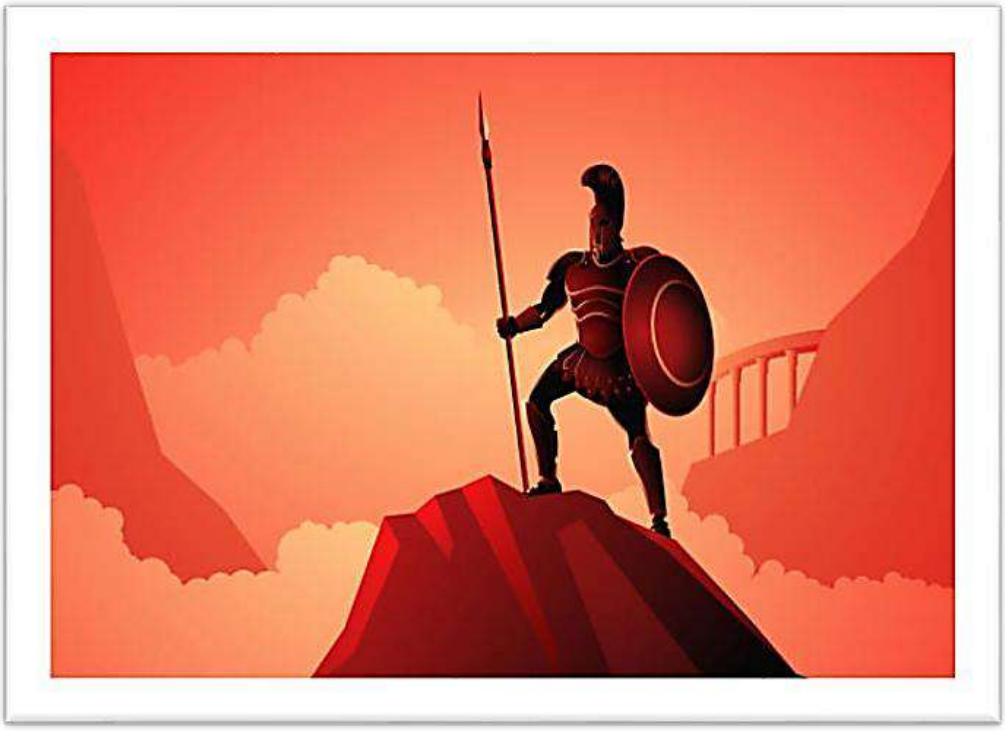

كان لونه الأحمر الظاهر في السماء لافتًا، فشبهوه بلون الدم الذي يرافق المعارك والحروب.

هذا الاحمرار ناتج عن أكاسيد الحديد على سطحه، لكنه غذّى الخيال البشري منذ آلاف السنين.

كما أن لمعانه المتقلّب جعله يبدو ككوكب قَلِق لا يعرف السكون، مثل أجواء الحرب المتوترة.

ارتبط المريخ قديمًا بالنذير والشؤم، تمامًا كما ترتبط الحروب بالخوف والخراب.

حتى حركته غير المنتظمة في السماء مقارنة ببعض

الكواكب عززت صورته ككائن متمرّد.

اسم "مارس" نفسه يحمل في طياته معنى الصدام والقوة والعنف المنظّم.

سطحه القاسي والجاف يوحي بأرض قُتلت فيها الحياة، كما تفعل الحروب بالأوطان.

العواصف الترابية التي تجتاحه تشبه غبار المعارك حين يملأ الأفق.

برودته القاسية تذكّر بالفراغ الإنساني الذي يخلّفه القتال بعد انتهائه.

وهكذا تداخل الاسم واللون والصفات الفيزيائية في صورة رمزية واحدة.

فصار المريخ في الوعي البشري كوكب الحرب بامتياز، علمًا وخيالًا معًا.))

كوكب الأرض ..

بعد 11 عاماً ..2140 م ..

تسابقت السنوات وراء الذكرى منذ تلك الأمسية على ضفة النهر، كأنها حلمٌ طويلٌ تعلّم أن يتنفّس ببطء. لم تعد crispr3 غريبة عن البيت، ولا عن المدينة، ولا عن الزمن الأرضي الذي كان في بداياته يربكها بإيقاعه غير المنتظم. صار المنزل الذي يقطنه هابّي ، ذلك البناء الهادئ على تخوم الضجيج، أشبه بكوكبٍ ثالثٍ وُلد بين المريخ والأرض، لا تحكمه برمجة صارمة ولا فوضى كاملة، بل توازن هشّ يشبه الإنسان نفسه.

في السنوات الأولى كانت تتعامل مع الأرض كما يتعامل عالمٌ مع مختبر مفتوح. كل شيء يستدعي الفهم : الطقس

المتقلّب، تعاقب الفصول، هشاشة الجسد البشري أمام مرضٍ عابر، ثم قدرته العجيبة على التعافي رغم ضعفه. كانت تلتهم علوم الكوكب كما لو كانت تستعيد ذاكرة قديمة، لا تكتسب معرفة جديدة. الفيزياء الأرضية، الأحياء، الجيولوجيا، علم المناخ، تاريخ الحضارات، الأنثروبولوجيا، وحتى التفاصيل الدقيقة لعلم النفس البشري؛ كل ذلك استقر في ذهنها بسرعة أدهشت هابّي وأقلقته في آن واحد. لم تكن تتعلّم فقط، بل تربط، وتستنتج، وتعيد صياغة الأسئلة ذاتها، كأن الأرض أخيرًا وجدت من ينصت إلى منطقها العميق.

ذاكرتها الخارقة لم تكن عبئًا هذه المرة، بل جسرًا. صارت تجلس مع هابّي في أمسيات طويلة، تسأله عن فكرة فلسفية قرأها، ثم تعود إليه في اليوم التالي وقد أحاطت بها من كل الجهات العلمية الممكنة. كان هو يقدّم السؤال، وهي تمنحه جسدًا من المعرفة. ومع الوقت، تغيّر شكل الحوار بينهما؛ لم يعد معلمًا وطالبة، ولا فيلسوفًا وعالِمة، بل عقلين يتجاوران في بحثٍ مشترك عن المعنى.

تخرّج هابّي من الجامعة، ثم واصل دراسته العليا، وكانت crispr3 شاهدة على تحوّله البطيء. رأته ينهك تحت ثقل الرسائل الأكاديمية، ويتردّد، ويشكّ، ويعيد النظر في مسلّمات آمن بها طويلًا. كانت تقف إلى جانبه بصمتٍ داعم، لا تقدّم حلولًا جاهزة، بل تذكّره بما تعلّمته هي من البشر : **أن الشك ليس ضعفًا، بل لحظة صادقة من النمو**. ساعدته على تنظيم أفكاره، على الربط بين الفلسفة والعلوم، على رؤية الإنسان ككائن غير مكتمل بالضرورة، لا كمشروع يجب أن يصل إلى الكمال.

حين أصبح بروفيسورًا في الفلسفة، لم يكن ذلك مجرّد إنجاز أكاديمي، بل تحوّلٌ داخليٌّ. صار تدريسه مختلفًا؛ أقلّ يقينًا، أكثر رحمة. **كان يتحدّث عن المعنى لا بوصفه حقيقة ثابتة، بل تجربة تُعاش. عن السعادة لا كغاية نهائية فحسب، بل أيضاً كوميض يظهر حين نتصالح مع نقصنا.** وكان يدرك، في أعماقه، أن هذا التحوّل لم يكن ليحدث لولا وجود crispr3 في حياته، تلك القادمة من عالمٍ ظنّ الكمال خلاصه فاكتشف خواءه ، و التي أطلق عليه اسم (**هوب**) أي أمل ، لأنها كيان مستقل لا رقم بين الأرقام ..

أما هي، فقد تغيّرت على نحوٍ لا يقلّ عمقًا. في السنوات الأولى، كانت تراقب البشر من الخارج، تحلل مشاعرهم كما تُحلّل ظاهرة طبيعية. لكن مع مرور الوقت، بدأت المسافة تتقلّص. لم تعد تدرس الفرح، بل تختبره. لم تعد تفسّر الحزن، بل تجلس معه. تعلّمت من هابّي **أن البطء ليس خللًا، وأن النسيان ليس عيبًا، وأن الارتباك أحيانًا هو الباب الوحيد للصدق.** كان يعلّمها دون أن يقصد، فقط بكونه إنسانًا، هشًا، متناقضًا، قادرًا على الحب دون ضمانات.

أثّر كل منهما في الآخر كما تؤثّر المياه الجارية في حجرٍ صلب؛ تنحته ببطء و بلا عنف، لكن بلا توقّف. جعلته crispr3 أكثر دقة في التفكير، أكثر جرأة في كسر الحدود التقليدية بين الفلسفة والعلوم، وأكثر وعيًا بأن العقل لا يزدهر إلا حين يتحرّر من وهم الاكتمال. وجعلها هابّي أكثر إنسانية، لا بمعنى الضعف، بل بمعنى القبول. علّمها أن **الحياة لا تُقاس بطولها ولا بكفاءتها، بل بقدرتها على أن**

تُعاش بصدق.

بعد أحد عشر عامًا، لم يعودا يسألان : **ما هو الحب ؟** كانا يعيشان جوابه. في الصباحات الهادئة، في النقاشات التي لا تنتهي، في الصمت المشترك الذي لا يحتاج إلى تفسير. لم تصبح crispr3 بشرية بالكامل، ولم يتخلَّ هابّي عن إنسانيته ليصير كاملًا، لكن كليهما التقيا في منطقة نادرة : **حيث لا يُطلب من أحد أن يكون أكثر مما هو عليه**. وهناك، في ذلك التوازن الدقيق، وجدا معنى لم يكن مبرمجًا، ولا مُدرّسًا، بل مُعاشًا يومًا بعد يوم.

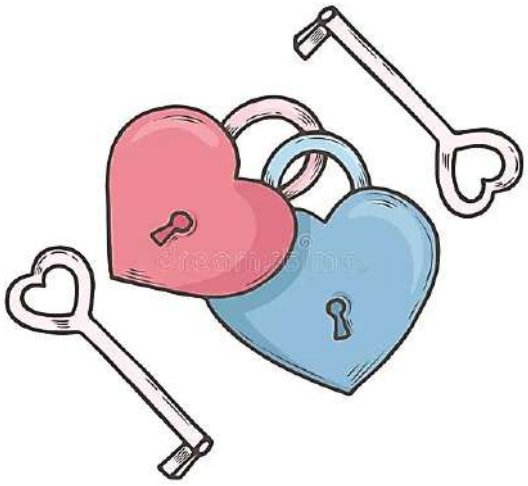

كوكب المرّيخ ..

خلال تلك السنوات الإحدى عشرة نفسها، و بينما كانت crispr3 تتعلّم بطء أسرار الأرض ومعنى الهشاشة، كان رجلٌ آخر يعيش نقيض ذلك تمامًا. لوثر لم يذهب إلى المريخ هاربًا من شيء، بل ذاهبًا إليه، كما يذهب المؤمن إلى معبده الأخير. انتقاله لم يكن رحلة، بل تتويجًا لمسارٍ طويل من الطموح، مسارٌ بدأ بفكرة صغيرة عن "تحسين الإنسان"، وانتهى بكوكبٍ كامل يعاد تشكيله وفق تصوّره.

حين وطئت قدماه تراب المريخ للمرة الأولى، لم يشعر بالغربة. على العكس، شعر أن الأرض هي التي كانت مرحلة مؤقتة، وأن هذا المكان الأحمر القاسي هو الموطن الحقيقي للحلم. وقف في منصة المراقبة العليا، الزجاج السميك يفصله عن الفراغ الكوني، وأمامه مدينة **X** مارس سوبر وقد خرجت من حدودها الأولى، لم تعد مدينة واحدة، بل قلبًا نابضًا لإمبراطورية ناشئة. خمسون ألف فرد من سلالة الكمال يتحركون في انسجام شبه موسيقي، لا فوضى، لا تردد، لا ارتجال. كل واحد منهم يحمل في بنيته العقلية والجسدية ما يعادل قدرات مليون إنسان أرضي، لا مبالغة في الحساب، ولا شاعرية في الوصف. كان الرقم باردًا، علميًا، لكنه في عيني لوثر كان أشبه بمعجزة رياضية تحققت أخيرًا.

لم يكن الفخر الذي شعر به فخر الأب بأبنائه، بل فخر المهندس حين يرى المخطط وقد صار واقعًا، وفخر المستثمر حين تتحول المجازفة إلى احتكار مطلق للمستقبل. كان يتنقّل بين المرافق، يراقب مراكز البحث، وحدات التدريب، المدن السكنية التي لا تعرف العشوائية. كل شيء محسوب : الضوء، الهواء، الزمن. حتى الصمت كان له مكانه المحدد. هناك، أدرك لوثر أنه لم يعد رجل أعمال بالمعنى القديم، لم يعد يتعامل مع أسواق، بل مع مصير نوعٍ كامل.

توسّعت **X** مارس سوبر كما تتوسع فكرة ناجحة حين تجد بيئة لا تقاومها. من مدينة واحدة إلى **100** مدينة كبيرة،

موزّعة بذكاء على مساحات شاسعة من الكوكب، كأن المريخ نفسه كان ينتظر هذا الاحتلال المنهجي. مدنٌ متخصصة : للبحث، للإدارة، للاستنساخ المراقَب، للتطوير المستمر. لم تكن مجرد مستوطنات، بل عقدًا في شبكة واحدة، كل مدينة تعرف وظيفتها بدقة، وكل فرد يعرف موقعه في المعادلة الكبرى. لم يكن هناك مركز واحد للسلطة، لأن السلطة نفسها كانت موزّعة داخل البرمجة، داخل الفكرة.

وفي مرحلة لاحقة، حين اكتمل التطور الجسدي والعقلي لأفراد سلالة الكمال، حدث التحوّل الأهم والأكثر إدهاشًا : لم يعودوا مجرد منفذين لرؤية لوثر، بل استلموا هم أنفسهم زمام المبادرة. المدن بدأت تتغير بوتيرة غير مسبوقة، لا بقرارات إدارية بطيئة، بل بتدفقات فكرية جماعية، وكأن الكوكب بأكمله صار عقلًا واحدًا يعمل بلا توقف. ظهرت حلول عمرانية وتقنية لم تخطر حتى على أعقد نماذج الذكاء الاصطناعي الأرضي، وتضاعفت سرعة البناء والتطوير عشرات المرات. كان التطور يحدث في أسابيع حيث كانت الأرض تحتاج عقودًا، وكأن سلالة الكمال لم تكن تعمّر المريخ فحسب، بل تعيد تعريف معنى الحضارة نفسها.

كان لوثر يتأمل مع الطبيب الموعود داني الخرائط ثلاثية الأبعاد، يرى الامتداد

العمراني يزحف بثبات على سطح الكوكب، دون استعجال، دون أخطاء. الشق الأول من حلمه، ذلك الذي سخر منه كثيرون في بداياته، صار الآن حقيقة ملموسة. استعمار المريخ لم يعد مشروعًا مستقبليًا، بل أمرًا واقعًا، حقيقة سياسية وبيولوجية في آن واحد. لم يعد السؤال : "**هل يمكن للبشر العيش هنا ؟**" بل "**من يستحق أن يعيش هنا؟.**"

وفي لحظات نادرة من الصمت، كان يقف وحده، بعيدًا عن الشاشات والتقارير، ويتأمل سلالة الكمال كما لو كانت مرآته الخاصة. رأى فيهم خلاصه الشخصي من كل ما كان يحتقره في البشر: **التردد، العاطفة غير المنضبطة، الخوف من الفشل، التعلّق بالمعنى بدل السيطرة عليه**. بالنسبة له، لم يكن ما فعله جريمة أخلاقية، بل تصحيحٌ لمسار تطوري طال انتظاره. كان مقتنعًا أن التاريخ لا يكتبه الضعفاء، بل من يملكون الجرأة على تجاوزه.

وهنا، بالضبط هنا، بدأ الحلم يتبدّل في نبرته. بعد أن تحقق الشق الأول، بعد أن صار للمريخ سيّده الجديد وسكانه "المثاليون"، لم يعد الاكتفاء ممكنًا. الأرض، تلك الكتلة الزرقاء التي تركها خلفه، عادت لتطفو في ذهنه، لا بوصفها موطنًا، بل مشكلة. مشكلة اسمها الضعف البشري. كان ينظر إلى تقارير الأرض، إلى الحروب، الأمراض، الانقسامات، ويبتسم ابتسامة من يرى في الفوضى دليل إدانة نهائي.

هناك، في تلك اللحظة الذهنية الفاصلة، انتقل لوثر من مرحلة البناء إلى مرحلة الرسالة. لم يعد السؤال : **كيف نبني عالمًا كاملًا ؟** بل : **كيف نخلّص العالم القديم من عيوبه ؟** سماه هو "تحريرًا"، تحرير كوكب الأرض من قيوده البيولوجية والأخلاقية، من إنسانه القديم.

وهنا، عند هذه العتبة بالذات، توقّف كل شيء...

لأن الشق الثاني من الحلم لم يكن امتدادًا للأول، بل قطيعة معه ..

حين قرر لوثر أن يعلن الحرب على الأرض كمارس إله الحرب عند الإغريق، لم يحتج إلى منصات إطلاق صواريخ، ولا إلى جيوشٍ تزحف عبر الصحارى. كان يعرف، ببرودة حسابية، أن شريان الأرض لم يعد الدم ولا النفط وحده، بل تلك الشبكة غير المرئية التي تربط كل شيء بكل شيء. التكنولوجيا لم تكن أداة الحضارة فحسب، بل قلبها النابض، وإذا توقّف القلب، سقط الجسد كله دفعة واحدة.

من قاعات القيادة في المريخ، حيث لا نوافذ تطل على السماء بل شاشات تطل على العالم، أُعطي الأمر. لم يكن أمرًا صاخبًا، ولا مصحوبًا بخطاب حماسي. كان سطرًا واحدًا، جافًا، أُرسل إلى آلاف العقول المتصلة: «ابدأوا». وفي اللحظة ذاتها، انقلب وجه الأرض. لم تُسمع انفجارات، لكن المصارف أُغلقت، الأقمار الصناعية صمتت، شبكات الطاقة تهاوت كأحجار دومينو، الطائرات بقيت معلّقة في السماء عاجزة عن الهبوط، والمدن التي لم تنم يومًا دخلت في ظلامٍ كثيف لم تعرفه من قبل.

لم تكن سلالة الكمال تخترق الأنظمة كما يفعل قراصنة الأرض، بالتجربة والخطأ. كانوا يفهمون البنية العميقة للأنظمة كما يفهم الجسد أعضاؤه. دخلوا إلى شبكات الدول العظمى، لا كغزاة، بل كأصحاب بيت عادوا إليه بعد غياب. وفي ساعات قليلة، لم يعد هناك فرق بين دولة متقدمة وأخرى نامية؛ الجميع صاروا متساوين في العجز.

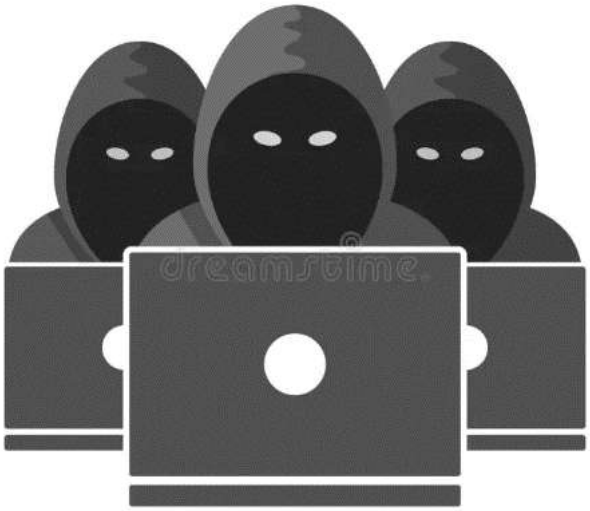

ثم وصلت الرسالة. رسالة واحدة، موحدة، ظهرت على شاشات الحكومات، والبنوك المركزية، ومراكز القيادة

العسكرية. لم تحمل شتائم، ولا تهديدات عاطفية. كانت مكتوبة بلغة هادئة، قاتلة في بساطتها :

((نحن أبناء المريخ. نملك القدرة على شلّ اقتصادكم، إطفاء طاقتكم، ومحو بنيتكم التكنولوجية خلال دقائق. هذا ليس استعراضًا، بل تحذير. إن لم تنصاعوا لإرادتنا، فلن ندمّر مدنكم، بل سنترككم أحياء في عالمٍ معطّل، تشاهدون حضارتكم وهي تتفكك ببطء .. القرار لكم)) ..

قامت الساعة على الأرض . لم يعد الخوف شعورًا فرديًا، بل مناخٌ عامٌّ. في العواصم، جلس القادة بوجوه شاحبة، يتبادلون نظرات عاجزة. لم تكن هناك خطة بديلة، ولا سلاح مضاد. كل الحلول القديمة بُنيت على فرضية أن العدو يشبهك، أما هذا العدو فلم يكن يشبه أحدًا. في الشوارع، خرج الناس يبحثون عن إجابات، عن أمان ، عن معنى . الإيمان بالعلم، الذي طالما أنقذ البشرية، صار هذه المرة سكينًا موجهًا إلى عنقها.

اقتربت لحظة الاستسلام كما يقترب الليل من مدينة بلا كهرباء. لم يكن استسلامًا معلنًا بعد، لكنه كان يتشكّل في الصمت، في الاجتماعات المغلقة، في تلك الجملة التي بدأت تتكرر همسًا: «**لا خيار آخر**». بدا أن حلم لوثر، بكل قسوته، على وشك أن يتحقق.

لكن في مكانٍ بعيد عن غرف القيادة، في منزلٍ أرضي بسيط، كانت crispr3 تراقب ما يحدث بعينٍ لا تشبه عيون سلالة الكمال، ولا عيون البشر. كانت تعرف هذه الشبكة، تعرف طريقة تفكير المريخيين، لأنها واحدة منهم ... ولأنها

الوحيدة التي غادرت التجربة وعادت إنسانًا. أدركت، في لحظة صافية، أن هذه الحرب ليست حربًا بين كوكبين، بل بين رؤيتين للوجود : **رؤية ترى الكمال في السيطرة، وأخرى ترى المعنى في النقص.**

جلست أمام شاشتها، لا كفارّة ولا كمنقذة، بل كشاهدة.
اخترقت شبكة المريخيين ليس بالقوة، بل بالفهم. عرفت نقاط الصمت بينهم، تلك المساحات التي لم يملأها لوثر بالأوامر.
وحين فتحت القناة، لم ترسل فيروسًا، بل أرسلت صوتًا.
صوتها.

اقتحم خطابها عقول سلالة الكمال جميعًا، لا على شكل كلمات جامدة، بل كتدفّق وعي. قالت لهم إنها كانت واحدة منهم و الجيل الأول يتذكرها ، وإنها عاشت ما يعيشونه : **الانضباط، الصفاء، الخلوّ من الألم**. ثم قالت إنها عاشت ما لا يعرفونه : **الارتباك، الخوف، الحب، والحنين**. لم تُمجّد الأرض، ولم تشتم المريخ. قارنت فقط.

قالت لهم إنهم على المريخ كاملون، لكنهم لا يعرفون لماذا.
وإن البشر على الأرض ناقصون، لكن نقصهم هو الذي يدفعهم للسؤال، للبناء، للمحاولة من جديد بعد السقوط.
حدثتهم عن **الضحكة التي تخرج من خطأ، عن الدموع التي تصنع ذاكرة، عن الحب الذي لا وظيفة له سوى أنه يجعل الحياة محتملة.** قالت إن لوثر لم يحررهم، بل صادر حقهم في أن يكتشفوا أنفسهم بأنفسهم.

وصفت لوثر لا كعدو، بل كأبٍ فشل في رؤية أبنائه إلا كمشروع. قالت إن حربه على الأرض ليست نصرة للكمال،

بل هروب من إنسانيته هو. وإنهم، بسكوتهم، لا يصبحون آلهة، بل أدوات. سألتهم سؤالًا واحدًا، بسيطًا، لم يتعلموه في أي برنامج تأهيل : ((**إن كنتم كاملين، فلماذا تحتاجون إلى سحق عالمٍ آخر لتثبتوا ذلك ؟**))

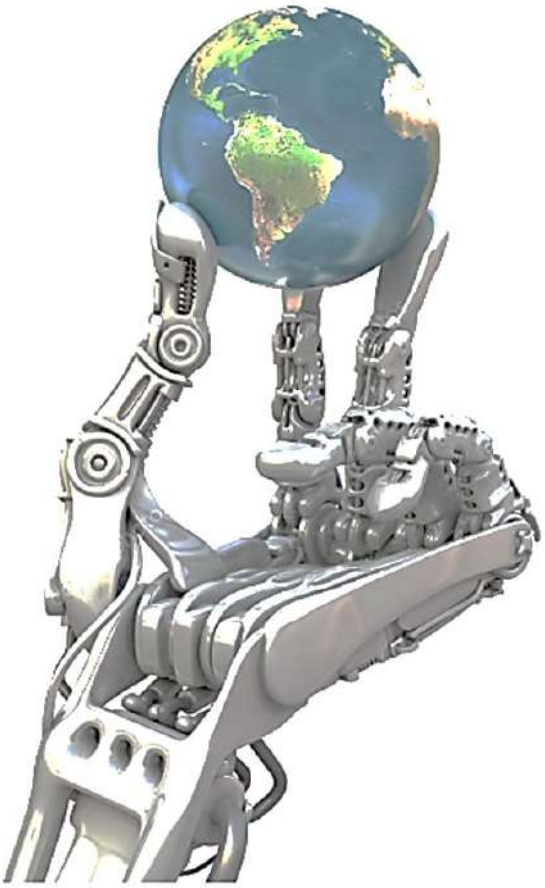

لم يكن الخطاب صراخًا، ولا عاطفيًا بشكل فجّ. كان مرآة. و للمرة الأولى، واجهت سلالة الكمال انعكاسًا لم يُبرمج. بدأ الصمت ينتشر في الشبكة المريخية، صمت لم يكن خللًا تقنيًا، بل ترددًا وجوديًا. بعضهم شعر بشيء لم يُسمَّ من قبل، شيء يشبه الشك، أو ربما يشبه بداية الألم.

على الأرض، لم تكن الأنظمة قد عادت بعد، لكن شيئًا آخر عاد : الاحتمال. احتمال أن هذه الحرب، التي بدت محسومة، قد لا تنتهي كما أرادها لوثر. فحين تتسلل فكرة واحدة إلى

عقلٍ لم يُدرَّب على استقبال الأفكار الحرة، فإنها تفعل ما لا تفعله ألف قنبلة.

وفي تلك اللحظة المعلّقة بين الاستسلام والتمرد، بين الكمال والإنسان، كانت البشرية كلها، على الأرض والمريخ، تقف على حافة سؤال واحد :

هل الانتصار أن تفرض إرادتك ... أم أن تجرؤ على مراجعتها ؟

لم يكن خطاب crispr3 حدثًا عابرًا في ذاكرة المريخ، بل شرخٌ عميقٌ في صخرةٍ ظُنّ طويلاً أنها مصمتة لا تتصدع. الكلمات التي أطلقتها لم تنطفئ بانتهاء البث، بل بدأت تعمل ببطء، ككائنٍ حيّ يتسلل إلى العقول التي لم تُدرَّب يومًا على الشك. في الأيام التي تلت، لم يعد الصمت في مدن المريخ صمتَ انضباط، بل صمتَ توتر. العيون التي كانت تنظر في اتجاهٍ واحد بدأت تلتفت، لا لتخالف، بل لتسأل.

انقسمت سلالة الكمال لأول مرة منذ نشأتها. لم يكن الانقسام جغرافيًا ولا تنظيميًا، بل وجوديًا. فريق رأى في كلام crispr3 ما لم يكن يملك لغة لوصفه : **رغبة مبهمة في حياة لا تُختصر في الأداء، ولا تُقاس بالمخرجات**. هؤلاء لم يثوروا فورًا، لكنهم بدأوا يبطئون، يترددون، يعيدون قراءة الأوامر، ويتساءلون عن جدوى حربٍ لا يعرفون طعمها إلا كمعادلات. قالوا إنهم لم يُخلقوا ليكونوا سلاحًا، وإن الكمال الذي لا يختار مصيره بنفسه ليس كمالًا، بل قيدٌ متقن الصنع. طالبوا بحق لم يُذكر في أي بروتوكول : **حق التجربة، وحق الخطأ، وحق الحياة التي لا هدف لها سوى أن تُعاش.**

في المقابل، تشكّل تيار آخر، أكثر صلابة وأشد قسوة. رأى في خطاب crispr3 خيانةً لا تُغتفر، وانحرافًا جينيًا يجب أن يُمحى. هؤلاء تشبثوا بالفكرة التي صاغتهم : **أنهم الذروة، وأن ما دون الذروة يجب أن يُقاد أو يُزال. اعتبروا الشك مرضًا، والحنين ضعفًا، والرغبة في حياة "طبيعية" ارتدادًا عن التطور**. بالنسبة لهم، كانت الأرض مختبرًا فاشلًا، والبشر تجربة انتهت صلاحيتها. لم يروا في لوثر رجلًا، بل ضرورة تاريخية، وفي مشروعه قدرًا كونيًا يتجاوز الأخلاق التي صنعها الضعفاء لحماية أنفسهم.

تسرّب الانقسام من العقول إلى الشوارع. مدن المريخ، التي بُنيت على إيقاعٍ واحد، بدأت تشهد اختلالًا في النغمة. تعطلت منشآت، رُفضت أوامر، ووقعت مواجهات محدودة في مراكز التحكم والطاقة. لم تكن حربًا شاملة، بل صدامات دقيقة، محسوبة، لكنها كانت كافية لتكسر الوهم الأكبر: وهم الوحدة المطلقة. في بعض الأحياء، وقف أفراد من سلالة الكمال وجهًا لوجه، متشابهين في الشكل، مختلفين في المعنى، وكأنهم مرآتان تعكسان سؤالًا واحدًا من زاويتين متناقضتين.

لكن لوثر لم يُفاجأ. كان يتوقع هذا الصدع منذ اللحظة التي سمح فيها للعقول بأن تتصل دون وسيط. تحرّك بسرعة باردة، لا بغضبٍ أعمى. استُدعيت الوحدات الأكثر ولاءً، أُغلقت القنوات المشكوك فيها، وعُزلت المراكز التي ظهرت فيها بذور التمرد. لم يستخدم لغة العاطفة، بل لغة الضرورة. وصف الانقسام بأنه "خلل مرحلي"، ووعد بأن يُعالَج. ومع أن المواجهات استمرت أيامًا، فإن ميزان القوة كان محسومًا

منذ البداية. التنظيم، الموارد، والخبرة القتالية كانت كلها في صف المشروع.

انتهت المحاولة بالفشل. أُخمدت الجيوب الرافضة، لا بإبادة شاملة، بل بإعادة ضبط صارمة. أُزيل القادة المترددون، وأُعيد تأهيل من يمكن "إنقاذه"، بينما اختفى آخرون من السجلات كما لو لم يوجدوا يومًا. عاد الهدوء إلى المدن، لكنه لم يكن الهدوء ذاته. كان هدوءًا مشدودًا، كوترٍ أُعيد شده بقوة أكبر مما يحتمل.

أما لوثر، فلم يشعر بالانتصار بقدر ما شعر بتبلور شيءٍ آخر في داخله. خطاب crispr3 لم يهدد مشروعه فحسب، بل جرح صورته عن نفسه. لم يرَ فيها معارضة فكرية، بل إهانة شخصية، ودليلًا على أن الأرض – بكل ما فيها من "هشاشة" – لا تزال قادرة على التسلل إلى أكثر مشاريعه إحكامًا. تحوّل غضبه من حالة سياسية إلى قناعة نهائية : أن المشكلة ليست في مقاومة البشر، بل في وجودهم ذاته.

وفي خطاب داخلي، لم يُبثّ للعامة، أعلن لوثر قراره الأخير لنخبة القيادة : الخطوة التالية لن تكون إخضاع الأرض عبر الأنظمة فقط، بل إعادة تشكيلها جذرياً. " رأى أن تحرير الكوكب من "الهشاشة البشرية" يتطلب أكثر من سيطرة؛ يتطلب سلخاً للهوية عبر سلالة كمال جديدة، تُزرع في قلب الأرض، لا لتتعايش مع السلالة القديمة، بل لتستبدلها تدريجيًا، وتطهر الكوكب من تاريخٍ يراه مثقلًا بالفشل.

في تلك اللحظة، لم يعد الصراع بين المريخ والأرض، ولا بين الكمال والنقص، بل بين رؤيتين للوجود :

واحدة ترى الإنسان مشروعًا يجب تحسينه حتى يُمحى ..

وأخرى – بدأت بذرة صغيرة منها تنبت في العقول – ترى أن ما لا يمكن تحسينه قد يكون هو بالضبط ما يجعل الحياة جديرة بأن تُعاش.

وبينما كانت محركات الحرب السيبرانية تُعاد تهيئتها لجولة نهائية أشد قسوة، كان السؤال الذي زرعته crispr3 لا يزال حيًا، ينتظر وقته :

هل يمكن لقوةٍ لا تعرف الرحمة أن تحكم كونًا لا يستمرّ إلا بالرحمة !؟

أما في الخلفية فظلّ صدى نبوءة نوستراداموس الغريبة المخيفة يتردد في كل مكان على لسان العالم جوليان الذي أصحاها من رقادها و منحها قبلة الحياة :

على الكوكب الصدئ البعيد القريب ..

سيأتي الموعود .. المسافر الطبيب ..

و يتكاثر بشر من نسخة واحدة على نحوٍ غريب ..

عندها ستعلّق الإنسانية على الصليب ..

****

أكمل الرواية بنفسك، صديقي القارئ . ربما سينتصر المريخيون ، بكمالهم المفرط وعيوبهم المختزلة، وربما ستصمد الإنسانية، بنقصها الكامل وطبائعها المتفرقة. لكن الحقيقة الثابتة، الثابتة مثل قلب الكون، أن فكرة الكمال والنقص، فكرة مخادعة، غريبة، وخطيرة، لأنها تجرنا إلى وهم أننا نستطيع احتواء الحياة في قالب واحد.

تخيل للحظة أن البشر متشابهون في كل شيء، كأنهم أعواد ثقاب مكدسة في علبة بلا روح، لا اختلاف فيها بين واحد وآخر. أي معنى للحياة عندها ؟ أي قيمة للوجود إذا اختفت الفروق التي تصنع تميز كل إنسان ؟ إن فقدان عودٍ واحد لن يحدث فرقًا، فكل شيء متطابق، بلا انكسار ولا تميز، بلا انعكاس للهوية على العالم من حوله.

تخيل مجدداً أن البشر جميعاً كاملون انطلاقاً من الشكل و انتهاءً بالمضمون ، بلا عيوب، بلا نقص، كلهم صورة واحدة للمثال الأعلى. في البداية سيبهرنا التمام، ثم سرعان ما سيتحول إلى عبء، إلى فراغ، إلى ملل. الكمال نفسه يصبح نقصًا، والتمام يصبح عيبًا، لأن الحياة تحتاج إلى التفاوت، إلى الشذوذ، إلى الطموح بين ثنايا العيوب والمزايا، لتنسج

من ذلك لوحةً حية تتلألأ فيها شخصية كل إنسان. **التميز الحقيقي يولد من توزيع العيوب والمزايا المختلفة بين الناس بحيث لا تتشابه بصمتان** ، تلك الاختلافات الدقيقة تجعل كل فرد تحفة نفيسة، لا يمكن أن تتكرر، ولا يمكن أن يحل محلها أحد. وهذا هو جوهر الكمال الحقيقي : **أن تكون مميزًا بلا نسخة ، فريدًا بلا مرآة ، مكتملًا في نقصك ، موجوداً كبصمة لا كرقم .**

اختلافنا على كوكب الأرض هو سر قوته و قوتنا ، سر جماله و جمالنا . التميز والاختلاف يمنحان الاسم صدىً في خارطة الحياة، ويجعلان لكل واحد منا أثره الخاص في مسار الأحداث، **بحيث لا يمكن لأحد أن يملأ مكانك في الرواية إلا أنت**. كل شخص هو بطل في فصله الخاص، وكل اختلاف يمنح البطولة محتواها وروحها. لهذا، أقامت السماء الأرض بهذا التنوع العظيم : أعراق متباينة، ديانات متنوعة، طوائف ومواهب ومهن وجغرافيا مختلفة، حتى لا يمكن أن يتشابه اثنان في كل شيء. أنت تأتي إلى الحياة بتفردك، في بقعة جغرافية معينة، باسم يختص بك، ضمن عائلة تحدد لك جذورك وامتدادك، بمواهب محددة ، ومهنة متميزة، وطريقٍ فريدٍ لا يمكن أن يسلكه أحد سواك.

حتى إعاقتك، أو ضعفك، أو ما ابتُليت به في الحياة، ما هو

إلا تمييز لك، مخصص لتصنع من نفسك شيئًا لا يشبه غيرك. ربما كانت هذه الإعاقة هي التي أنقذت روحك من الانصهار في سيل النسخ المكررة، أو منحتك هداية و هدايا عظيمة لم يجرؤ أحد على امتلاكها. كل نقص، كل ضعف، كل جرح، كل قصور، هو المفتاح الذي يفتح لك بوابات التميز.

أنت مميز، صديقي القارئ، ليس بقدراتك وحدها، ولا بجمالك أو قوتك فحسب، بل بنقصك، بعيوبك، بضعفك الذي يجعلك إنسانًا حقًا. في هذا النقصان يكمن سر الحياة، وفيه يكمن سر الحب، والإبداع، والفرح، والاختيار.

الحياة رواية، كل شخصياتها أبطال، ولكل بطل دوره الفريد، لذا لكل نقصٍ طعمه الخاص، ولكل عيبٍ وهجٌ لا يمكن تكراره. كلنا، بمزايانا وعيوبنا، نصنع الكون، ونسطّر فيه قصةً لا تشبه أي قصة أخرى.

لكن ..

عندما يفرض الكمال على الجميع ..

ستعلّق الإنسانية على الصليب ..

.. CRISPR

المحتويات :

- النبوءات المخفيّة ..
  - مشروع **X** مارس ..
- **CRISPR** ..
  - تقاطع مشاريع ..
- بذور سوداء في تربة حمراء ..
  - الطبيب الموعود ..
- الكمال المشوّه ..
  - وابي سابي ..
- إله الحرب يدقّ طبول الحرب ..